الكرمل أبحاث في اللغة والأدب

العددان ٣٧-٣٨ (٢٠١٦-٢٠١٧)

المحرر المسئول: رؤوبين سنير
سكرتير التحرير: علي حسين
هيئة التحرير: إبراهيم طه، أهارون جيبع كلاينبرجر

مستشارو التحرير (حسب الترتيب الأبجدي):
أريه ليفين (الجامعة العبرية في القدس، إسرائيل)
ألبير أرازي (الجامعة العبرية في القدس، إسرائيل)
إيزابيلا كاميرا دي أفليتو (جامعة روما، إيطاليا)
بنيامين أبراهاموف (جامعة بار إيلان، إسرائيل)
بو إساكسون (جامعة أوبسالا، السويد)
جاكو هامين- أنتيلا (جامعة هلسنكي، فنلندا)
جوزيف زيدان (جامعة ولاية أوهايو، الولايات المتحدة الأمريكية)
جيبرت جان فان خيلدر (جامعة أكسفورد، بريطانيا)
راسم خمايسي (جامعة حيفا)
روجير ألين (جامعة بنسيلفانيا، الولايات المتحدة الأمريكية)
ساسون سوميخ (جامعة تل أبيب، إسرائيل)
سوزانة إنْديرفيتس (جامعة هايدلبيرج، ألمانيا)
ميئير بار- أشير (الجامعة العبرية في القدس، إسرائيل)
يوسف سادان (جامعة تل أبيب، إسرائيل)

نشر العددان بدعم مادّيّ من كلية الآداب والمركز اليهودي العربي في جامعة حيفا

تنشر الأبحاث حسب الترتيب الأبجدي لأسماء المؤلفين وهي تعبر عن وجهات نظرهم فقط.
قبل إرسال أية مادة للنشر، يجب مراعاة الإرشادات الفنية المسجلة في موقع المجلة الإلكتروني:
http://lib.haifa.ac.il/extprojects/alkarmil

ترسل المقالات إلى عنوان المجلة التالي:
مجلة الكرمل
قسم اللغة العربية وآدابها
جامعة حيفا، حيفا، ٣١٩٠٥
هاتف: ٨٢٤٠٠٦١-٤-٩٧٢ (خارج البلاد)؛ ٠٤-٨٢٤٠٠٦١ (داخل البلاد)
فاكس: ٨٢٤٩٧١٠-٤-٩٧٢ (خارج البلاد)؛ ٠٤-٨٢٤٩٧١٠ (داخل البلاد)
أو عبر البريد الإلكتروني: ahussein@univ.haifa.ac.il

ISSN 0334-8547
حقوق الطبع محفوظة لقسم اللغة العربية وآدابها في جامعة حيفا ©

فهرس المجلة

القسم العربي

سلسلة منشورات الكرمل ٦

كلمة رئيس التحرير
(رؤوبين سنير) ٧

رحلة البلوي إلى الحج ومساهمتها في رسم معالم التجديد فيما سمّاه نقّاد العصور الوسطى بالأدب (ألبير أرازي) ١٥

"واسأل القرية" – "الحشد" صياغة سيميائيّة لمفهومي الحذف والاتّساع
(إبراهيم طه) ٨٩

ألف ليلة وليلة مقابل الأدب الرّاقي والأدب الشعبي – فحص تغييرات ممكنة في المكانة الأدبيّة (أمير لرنر) ١٣٣

لماذا يعود الشاعر إلى الأطلال؟
(إياس ناصر) ١٦٦

عليّ بن أبي طالب: قراءة في توظيف ولادته في التّراث الشّيعيّ
(صالح عبّود) ١٩٤

القسم الأجنبي

Why Do Particles (not) Operate? The Development of the Concept of *iḫtiṣāṣ* in Arabic Grammatical Tradition (Almog Kasher) 9

Strophic Poetry in Andalusī Vernacular (Eleventh/Twelfth CE)
(Arie Schippers) 27

Satire (*hiğā'*), Foul Language (*muğūn*), Jesting (*hazl*) and Dialectal Poetry (*zağal*) in al-Andalus (Federico Corriente) 51

Why Does a Poet Return to the Abandoned Campsite? Additional Answers in Reply to Iyās Nāṣir's Article *"li-mādhā ya'ūdu l-shā'ir ilā l-aṭlāl?"* (Geert Jan van Gelder) 62

De la notion d'*Adab* dans la culture arabo-islamique et ses rapports culturels et éducatifs avec le monde persan islamique (Raif Georges Khoury†) 73

Elegiac Poetry over the Death of Children - The Impact of Arabic Lamentation over Hebrew Lamentation (Yusef Yuval Tobi) 101

سلسلة منشورات الكرمل

١. فهد أبو خضرة. **ابن المعتز وإنتاجه الأدبي**. عكا: ١٩٨١.

٢. ليئة كينبرج. **كتاب الموت وكتاب القبور لابن أبي الدنيا**. عكا: ١٩٨٣.

٣. جورج قنازع. **كتاب إصلاح ما غلط فيه أبو عبد الله النَّمري مما فسره من أبيات الحماسة أولاً وثانيًا – تحقيق ودراسة**. حيفا: ١٩٨٨.

٤. جورج قنازع. **الرسالة الماسة فيما لم يُضبط من الحماسة تأليف أبي الهلال الحسن بن عبد الله العسكري – تحقيق وتقديم**. حيفا: ١٩٩١.

٥. سليمان جبران. **صلّ الفلا: دراسة في سيرة الجواهري وشعره**. حيفا: ١٩٩٤.

٦. محمود غنايم. **المدار الصعب: رحلة في القصة الفلسطينية في إسرائيل**. حيفا: ١٩٩٥.

٧. شموئيل موريه وموسى شواربه. **الأحمق البسيط (رواية كوميدية) من إنشاء حبيب أبلا مالطي**. حيفا: ١٩٩٧.

٨. معين هلون. **ركائز الفقرات وانتفاخ النص في اللغة العربية المعاصرة**. القدس: ٢٠٠٥.

٩. سليمان جبران. **نظرة جديدة على الشعر الفلسطيني في عهد الانتداب**. حيفا: ٢٠٠٦.

عليّ بن أبي طالب: قراءة في توظيف ولادته في التّراث الشّيعيّ

صالح عبّود

تتّسع صفحات التاريخ الإسلاميّ والتّراث الهائل الّذي تركه علماء المسلمين ومصنّفوهم القدماء خلال القرون الخمسة الأولى لكثير من الشّخصيّات الإسلاميّة اللّامعة الّتي أرست بصمات بارزة في تاريخ العالم الإسلاميّ، وقد اكتسبت بعضها لأسباب متعدّدة ملامح خاصّة ارتفعت بها إلى درجات فوقيّة ليس من اليسير بلوغها. إنّ مراجعة صفحات التّراث العربيّ والإسلاميّ القديم تسهم إلى حدّ ما في فهم ماهيّة الشّخصيّة الإسلاميّة المتنامية التي تمخّضت أشكالها، بادئ ذي بدء، وفقًا لاعتبارات عقديّة ضيّقة فرضت على جمهور من المسلمين فهمًا محدّدًا لماهيّة الشّخصيّة الإسلاميّة الفذّة. رغم كثرة الشّخصيّات الإسلاميّة اللّامعة، وتعدّد الرّوافد الباعثة للعظمة والقداسة الملتفّة حولها، إلّا أنّ نزرًا منها بلغت مرتبة التّعقيد والتّشابك المتزايد، بتراكم السّنين وتعدّد المشارب والأقلام، الّتي بلغتها شخصيّة عليّ بن أبي طالب.

تقوم هذه المقالة على قراءة في حضور شخصيّة عليّ بن أبي طالب (ت. ٤٠هـ/٦٦٠م) في المصادر التّاريخيّة ذات الميول السّنّيّة ومصادر أهل السّنّة من جهة ومصادر الشّيعة الإماميّة من جهة أخرى، وتعتمد المقالة في سياقها على رصد بعض المشاهد المرتبطة بحادثة ولادة عليّ بن أبي طالب، والّتي برزت فيها شخصيّته في سيرتها الإسلاميّة بصفة بارزة، وتعكس في مجملها مدى مساهمات التّراث الشّيعيّ القديم في بلورة شخصيّة عليّ الشّيعيّة المغايرة عن تلك الّتي تحضر ترجمتها في المصادر غير الشّيعيّة.

تثبت النّصوص الّتي تتوزّع بين التّوجّه التّاريخيّ والسّنّيّ من جهة والشّيعيّ الإماميّ من جهة أخرى، أنّه لا يمكن التّعرّف على شخصيّة عليّ بن أبي طالب من خلال ترجمة واحدة له فقط، فهي تتمتّع بسيولة عالية من المعطيات المنسجمة تارة والمتناقضة تارة أخرى، والّتي تجتمع في

شخصيّة واحدة تحمل اسمًا مشتركًا وتفاصيل متباينةً غير موحَّدة، فشخصيّة عليّ بن أبي طالب التّاريخيّة تختلف في كثيرٍ من وظائفها وتفاصيلها عن تلك الشّيعيّة.

في الواقع، وظّف الشّيعة في تراثهم وأدبهم النّصوص الواردة عند المؤرّخين المسلمين من أهل السّنّة، ثمّ أوّلوها بشكل ينسجم في الدّرجة الأولى مع معتقداتهم وتصوّراتهم بالنّسبة لشخصيّة عليّ ومكانتها في عقيدتهم الدّينيّة، وذلك بهدف التّأكيد على أهمّيّتها في التّاريخ الإسلاميّ المبكّر من جانبٍ، وإضفاء القداسة الدّينيّة المنشودة الّتي تثبت ما للشّيعة من آراء حول الأئمّة جميعهم، وفي مقدّمتهم الإمام الأوّل والأهمّ عليّ بن أبي طالب.

النّتيجة الحتميّة للمنهجيّة الشّيعيّة القديمة في التّعاطي مع شخصيّة الإمام عليّ، قد ولّدت عليًّا شيعيًّا يختلف في كثيرٍ من تفصيلات ترجمته عن عليّ الّذي تظهر ترجمته في المصادر التّاريخيّة السّنّيّة، وأفرزت بطبيعة الحال، أدبًا خصبًا يرصد مناقبها وفضائلها في التّراث الإسلاميّ عمومًا والتّراث الشّيعيّ الإماميّ على نحو من الخصوص، وقد بات معلومًا أنّه كلّما ابتعدت شخصيّة عليّ عن واقعها الزّمكانيّ القديم، اكتسبت ملامح إضافيّة، وخرجت بذلك من حدود التّاريخ إلى حيّز الخيال والأسطورة التّاريخيّة والدّينيّة الموظّفة.

نُسب إلى عليّ دور حاسم في التّاريخ من قبل المسلمين كافّة، فقد كان بالنّسبة إلى المسلم السّنّيّ، بطلًا مغوارًا من صناديد الإسلام، وأحد الخلفاء الرّاشدين الأربعة الّذين يمثّلون المجتمع الإسلاميّ النّموذجيّ ونخبة السّلف الصّالح، ويراه السّنّيّ المتصوّف نابغة علم الحقيقة ونبع سلاسل الطّرق الصّوفيّة في معظم العصور، ويعتبره ملهمًا روحانيًّا جليلًا، وينسب إليه في كثيرٍ من المناسبات إنشاء القواعد الأولى لعلم النّحو واللّغة العربيّة، ولا يعزب عن بال السّنّيّ أبدًا، أنّ عليًّا يمثّل امتداد الدّوحة النّبويّة الشّريفة.[١]

أمّا بالنّسبة إلى المسلم الشّيعيّ، فإنّ ما ذُكر يمثّل مساحةً ضيّقةً من الصّورة الّتي يحملها الشّيعيّ لعليّ وشخصيّته الوقورة، إذ كان عليّ كفؤًا للنّبيّ الّذي صاهره وخطب له ابنته بنفسه،

---

[١] للوقوف على شخصيّته وفق المصادر السّنّيّة المعتمدة، يمكن العودة إلى ما يرد عند: E. Ruhī Fiğlali, "ʿAlī in the Sunni Historical and Theological Tradition", in: Ahmet Yasar Ocak (ed.), *From History to Theology: Ali in Islamic Beliefs* (Turkey: Turk Tarih Kurumu, 2005), 149-184.

والإمـام الأوّل بعد النّبيّ دونما منازع، وهو أولى النّـاس جميعًا بالإمامة لحقّه بها نصًّا وعقلًا وفضلًا وشرعًا، وهو بالإضافة إلى ذلك كلّه، أصل السّلسلة الإماميّة الّتي يتفرّع منها الأئمّة الأطهار المعصومون، فهو أبو الأئمّة وجدّهم للأب والأمّ، ويلاحظ تأكيد الشّيعة على حقّ عليّ بالخلافة، لأنّه ذو الولاية الشّرعيّة وما يترتّب عليها من سمات ومزايا روحانيّة رفيعة لا تجتمع إلّا فيه، لاسيّما أنّه في نظر كلّ شيعيّ مؤمنٍ مشكاةٌ متوهّجةٌ بالرّوحانيّات القدسيّة والإشعاعات النّورانيّة.

اندفعت صورة عليّ في تيّارات التّاريخ وتقاذفتها أمواجه العاتية، مكوّنة منه فسيفساء مختلطة الألوان والتّفاصيل المتباينة، وقد أكّد التّراثان الشّيعيّ والسّنّيّ معًا على انشطار شخصيّة عليّ بين أهواء المحبّين له والكارهين، فذكرت الرّوايات عند الفريقين، أنّ النّبيّ أخبره قائلًا له: "فيك مَثَل عيسى، أحبّه النّصارى حتّى كفروا في حبّه، وأبغضه اليهود حتّى كفروا في بغضه".[٢]

إرهاصات الولادة: النّور الأزليّ

لم تكن بداية عليّ كأيّ بداية طبيعيّة مألوفة ألفها البشر جميعًا، إذ ارتبطت بدايته في التّراث الشّيعيّ القديم - والمتأخّر أيضًا - بعالَمٍ افتراضيّ آخر يسبق العالم الحسّيّ الواقعيّ الّذي يشكّل حيّز الإنسانيّة. تباينت المصادر الإسلاميّة القديمة في رصدها تلك المرحلة المتاخمة للأزل غير المحدود، فتمّت تسميتها في بعض المصادر بفترة "الميثاق" وفي مصادر أخرى بـ "عالم الذرّ". يبدو أنّ ثمّة حدودًا مميّزةً بينهما، وعلامات فارقة تتّضح معالمها من خلال تسليط الضّوء على شخصيّة عليّ وعلاقاتها بهما. لذلك فإنّ استخدام المصطلحين المذكورين: "الميثاق" و"عالم الذّرّ" مرهونٌ إلى حدّ ما بماهيّتهما كما تتكشّف من خلال الرّوايات الشّيعيّة القديمة.

عالم الذّرّ من أقدم عوالم الزّمان الّتي ذكرت في المصادر الإسلاميّة القديمة عامّة، فهو المرحلة الّتي سبقت خلق الكون وما يحتويه من مخلوقات مختلفة، وهي مرحلة عالقة في الموروث الإسلاميّ روحانيًّا وفكريًّا إيمانيًّا، لاقت قَبولًا في معظم الدّوائر الإسلاميّة العقائديّة الّتي علّقت

---

[٢] ورد هذا الحديث لدى: محمّد ابن بابويه القمّيّ الصّدوق، **عيون أخبار الرّضا** (بيروت: مؤسّسة الأعلميّ للمطبوعات، ١٩٨٤)، ١: ٦٣، وورد في مصادر السّنّة باختلاف ما في متن النّصّ. يُنظر لدى: أحمد بن حنبل، **فضائل الصّحابة** (جدّة: دار العلم، ١٩٨٣)، ٢: ٦٦٢-٦٦٣.

كثيرًا من عقائدها على "عالم الذّرّ" وما تعلّق به من سياقات دينيّة سرعان ما أصبحت قانونًا من قوانين الوعيّ الإسلاميّ عامّة والشّيعيّ خاصّة.[٣] تعود فكرة "عالم الذّرّ" في منشئها الأوّل إلى النّصّ القرآنيّ الّذي يقول: "وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ {١٧٢} أَوْ تَقُولُواْ إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ".[٤]

يحدّد النّصّ المقدّس الأخير الرّؤية الإسلاميّة الرّوحيّة لعمليّة التّمهيد السّماويّة الغيبيّة الّتي شهدها الكون في مرحلة سبقت خلقه بسنوات كثيرة. من جهتها، تشير المصادر الشّيعيّة التّراثيّة إلى علاقة وثيقة بين مرحلة "عالم الذّرّ" والعقيدة الشّيعيّة من خلال حضور الأئمّة عامّة والإمام الأوّل عليّ بن أبي طالب بشكل خاصّ فيها.

تأخذ شخصيّة عليّ في هذا السّياق دورًا مركزيًّا تقوم من خلاله بترسيخ المعتقد الشّيعيّ، لا سيّما أنّها تؤكّد وجود عليّ إلى جانب النّبيّ في "عالم الذّرّ" قبل خلق السّماوات والأرض وسائر المخلوقات، ويشير إلى ذلك التّصوّر الشّيعيّ الّذي ترسّخت معالمه قديمًا كمٌّ من الرّوايات الدّينيّة الّتي جمعتها المصادر الشّيعيّة الهامّة، وفي مقدّمتها كتاب **الأصول من الكافي**، وفيه يورد مؤلّفه الكُلَيْنِي[٥] (ت. ٣٢٩هـ/ ٩٤٢م) في فصل الحجّة عن الإمام جعفر الصّادق (ت. ١٤٨هـ/ ٧٦٥م) أنّه قال: "قال الله تبارك وتعالى: يا محمّد، إنّي خلقتك وعليًّا نورًا يعني روحًا بلا بدن قبل أن أخلق سماواتي وأرضي وعرشي وبحري، فلم تزل تهلّلني وتمجّدني..."،[٦] فبداية عليّ إلى جانب النّبيّ كانت روحًا بلا بدن. تلك الرّوح العلويّة القديمة الّتي وُجدت قبل وجود الخلق ذاته، ظهرت على شكل نور أزليّ بدأت منه الأنوار الدّنيويّة، واكتسبت من صميمه عقيدة الشّيعة

---

[٣] ينظر مثلًا إلى احتجاج ابن بابويه القمّيّ المعروف بالشّيخ الصّدوق (ت. ٣٨١هـ/ ٩٩١م) بأخبار عالم الذرّ والميثاق على قِدم عقيدة الغيبة ومصداقيّتها السّابقة. محمّد بن بابويه القمّيّ الصّدوق، **كمال الدّين وتمام النّعمة** (بيروت: مؤسّسة الأعلميّ للمطبوعات،١٩٩١)، ٢٧.

[٤] **القرآن الكريم**، سورة الأعراف، ٧: ١٧٢-١٧٣.

[٥] يراجع ترجمته الشيعيّة لدى: محمّد بن الحسن الطّوسيّ، **الفهرست** (بيروت: مؤسّسة الوفاء، ١٩٨٣)، ١٦٥-١٦٦.

[٦] محمّد بن يعقوب الكُلَيْني، **الأصول من الكافي** (طهران: دار الكتب الإسلاميّة، ١٩٦٨)، ١: ٤٤٠.

حيّزها القديم، فروي عن الإمام جعفر الصّادق (ت. ١٤٨هـ/ ٧٦٥م) قوله أيضًا: "إنّ الله كان إذ لا كان، نخلق الكان والمكان، وخلق نور الأنوار الّذي نوّرت منه الأنوار، وأجرى فيه من نوره الّذي نوّرت منه الأنوار، وهو النّور الّذي خلق منه محمّدًا وعليًّا، فلم يزالا نورين أوّلين، إذ لا شيء كوّن قبلهما..."[٧] يعبّر النّصّ الأخير عن توجّه دينيّ شيعيّ يؤسّس فكرة بداية الكون من خلال نورٍ مقدّس يجمع بين محمّد وعليّ، فهما في ضوء هذا التّصوّر أقدس شخصيّتين في الوجود، فبهما تلخّص الخلق الأوّل.[٨]

يظهر موتيف النّور الإلهيّ المقدّس الّذي انبثقت منه الأرواح النّورانيّة الخاصّة بالنّبيّ وعليّ وبقيّة الأئمّة في كثير من الرّوايات الشّيعيّة القديمة.[٩] أسهب التّراث الشّيعيّ المبكّر - حتّى نهاية القرن الخامس الهجريّ - على خلاف التّراث السّنّيّ، في ترويج المعتقدات الإيمانيّة الّتي تسهم إلى حدّ كبير في ترسيخ المعتقد الشّيعيّ والتّراث الّذي يعتمده ويقرّه.

مرّت شخصيّة عليّ في مخاضها القديم في أولى مراحل تولّدها مع خلق عليّ من النّور المقدّس الّذي تحيله بعض الرّوايات إلى الذّات الإلهيّة.[١٠] تشكّلت من ذلك النّور المقدّس أجسام نورانيّة ذكرتها المصادر بأسماء متقاربة نسبيًّا، لكنّها تحمل دلالات متعدّدة تجتمع في تصويرها لحالة ما

---

[٧] الكُلَيْني، **الأصول من الكافي**،1: 442. يُنظر أيضًا لدى: J. Eliash, *Alī b. Abī Tālib in Ithnā Asharī Belief* (London: University of London, 1966), 155-157.

[٨] تجد فكرة النّور المحمّديّ قبولًا في الفكر الإسلاميّ السّنّيّ القديم والمتأخّر، وقد ظهرت بوادرها في روايات دينيّة وتفسيرات قرآنيّة مبكّرة عند أهل السّنّة. ينظر ذلك عند: U. Rubin, "Pre-Existence and Light-Aspects of the Concept of Nūr Muḥammad", *Israel Oriental Studies* 5, (1975), 62-119.

[٩] يراجع ما ذكر لدى: M. Moezzi, *The Divine Guide in Early Shī'ism* (New York: State University of New York Press, 1994), 32.

[١٠] ينظر لدى: محمّد بن شاذان القمّيّ، **فضائل أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب** (بيروت: دار البلاغة، ١٩٨٧)، ١٠٨؛ محمّد بن الحسن الصّفّار، **فضائل أهل البيت**، المسمّى: **بصائر الدّرجات** (بيروت: مؤسّسة النّعمان، ١٩٩٢)، ٣٧. يزعم مذهب الحلاّجيّة الصّوفيّ كذلك أنّ الأئمّة أنوارٌ من نور الله. ينظر عند: مطهّر بن طاهر المقدسيّ، **البدء والتّاريخ** (بغداد: مكتبة المثنّى، ١٩٦٠)، ٥: ١٢٩-١٣٠.

قبل البشريّة ومنها: أشبـاح، أرواح، وأظلّة،[١١] وهذه الأشكال والصّيغ النّورانيّة متعدّدة النّعوت والأسماء، تتماهى مع المرحلة الأولى والبدائيّة الّتي تصوّر بها المصادر القديمة لدى الشّيعة شخصيّة عليّ في عالم ما قبل البشريّة.

تروي المصادر التّراثيّة الشّيعيّة أخبارًا تتعلّق بحالاتٍ ومجرياتٍ تُخضع عليًّا وتصقله بما ينسجم وطبيعته الأنطولوجيّة المرحليّة، إذ تنطوي مواصفات عليّ على بُنيةٍ وظيفيّةٍ محدّدةٍ تهدف إلى تسويغ الوضعيّة النّورانيّة المؤقّتة الّتي يقوم عليّ بتأديتها قبل الانتقال إلى مراحل لاحقة في سيرة حياته.[١٢] يذكر الشّيخ الصّدوق[١٣] (ت. ٣٨١هـ/ ٩٩١م) أنّ حبيبًا الأسديّ سأل الحسين بن عليّ: أيّ شيء كنتم قبل أن يخلق الله عزّ وجلّ آدم (ع)؟ قال: "كنّا أشباح نور ندور حول عرش الرّحمن، فنعلّم الملائكة التّسبيح والتّهليل والتّحميد...".[١٤] إنّ دورة الأشباح المذكورة تضيف إلى دور عليّ والنّبيّ مساهمة الأئمّة الآخرين من صلب عليّ، وبمعزل عن أهمّيّة مثل هذه الرّوايات وأثرها في إبراز دور بقيّة الأئمّة عند الشّيعة الإماميّة، فإنّ الدّور الأهمّ يقع في الرّوايات الّتي تنحصر في عليّ والنّبيّ وحدهما.

تلمّح فكرة النّور المحمّديّ العلويّ في ظاهرها إلى دلالة مؤدّاها الجمع والمقايسة بين النّبيّ وعليّ في سياق متفرّد في حيثيّاته، ولا شكّ أنّ نظرة خاطفة في روايات من هذا النّوع كفيلةٌ بتنبّه القارئ والدّارس إلى محاولة قديمة وسلسة لخلق أنموذج تفضيليّ يقرّب عليًّا من منزلة النّبيّ، أو ربّما جعلهما في منزلتين متعادلتين متكافئتين، فالنّبيّ يمثّل بنوره القديم ظاهرة النّبوّة، في حين

---

[١١] يراجع لدى: الكُلَيْني، **الأصول من الكافي**، ١: ٤٤٢. في رواية مرفوعة للإمام الباقر (ت. ١١٤هـ/ ٧٣٢م) يجيب فيها جابر بن يزيد قائلًا له: "يا جابر ،إنّ الله أوّل ما خلقَ خلق محمّدًا صلّى الله عليه وآله وعترته الهداة المهتدين، فكانوا أشباح نورٍ بين يدي الله، قلت: وما الأشباح؟ قال: ظلّ النّور أبدان نورانيّة بلا أرواح، وكان مؤيّدًا بروح واحدة وهي روح القُدس، فيه كان يعبد الله...". ينظر كذلك إلى معنى الأظلّة أو الظّلال كما يبيّنه الصّفّار في رواية في كتابه. الصّفّار، **بصائر الدّرجات**، ٩١.

[١٢] M. Moezzi, "Aspects De L`Imāmologie Duodécimaine I: Remarques Sur La Divinité .L`Imām", *Studia Iranica* 25 (1996), 196

[١٣] ينظر في ترجمته لدى: الطّوسيّ، **الفهرست**، ١٨٨-١٩٠.

[١٤] محمّد بن بابويه القمّيّ الصّدوق، **علل الشّرائع** (النّجف: المكتبة الحيدريّة، ١٩٦٣)، ٢٣.

ينضح فيه نور عليّ بالولاية[١٥] الّتي تقوم بمهمّة روحانيّة وعقائديّة عسيرة لا تقلّ في مكانتها عن النّبوّة أحيانًا، وبهذه الوسائل النّصّيّة التّراثيّة المبكّرة تصبح وَلاية عليّ رديف نبوّة محمّد في عالم الأنوار القديم، وبذلك تستقطب شرعيّة دينيّة منشودة في الأطوار اللّاحقة. غير أنّ مثل تلك المحاولات لا تفضي بالضّرورة، وبأيّ شكل إلى سموّ عليّ فوق النّبيّ.[١٦] رواية بإسناد عليّ نفسه تشير إلى قول النّبيّ: "خُلقت أنا وعليّ من نور واحد"،[١٧] وفي رواية أخرى يقول النّبيّ لعليّ مخاطبًا إيّاه: "يا عليّ إنّ النّاس خلقوا من شجر شتّى وخلقت أنا وأنت من شجرة واحدة...".[١٨] سُليم بن قيس (ت. 76هـ/ ٦٩٥م) يورد في كتابه[١٩] رواية أنّ عليًّا قال للنّبيّ: "انسبني من أنا، ليعرف النّاس قرابتي منك، فقال: يا عليّ، خُلقت أنا وأنت من عمودين من نور معلّقين من تحت العرش، يقدّسان الملك من قبل أن يخلق الخلق بألفي عام...".[٢٠] لا شكّ أنّ أيّ مقايسة ثنائيّة بين النّبيّ وعليّ تفضي إلى رفع مكانة الأخير بما يخدم المصلحة العقائديّة الشّيعيّة، وتعين في نمذجة عليّ وصقله في أنماط مؤسّسة للتّراث العقديّ لدى الفكر الشّيعيّ وتراثه الخصيب، خاصّة في ظلّ استجابة تلك المقايسات لمقاصد أساسيّة تتعلّق بوَلاية عليّ وإمامته. إنّ صلة عليّ مع الكيان النّورانيّ القديم انعكست في روايات أخرى سعت إلى تمجيد عليّ بجعله نورًا مستمرًّا ومتواصلًا في مراحل متأخّرة عن المرحلة الأصيلة القديمة في عالم ما قبل الولادة. في مثل

---

[١٥] يراجع لدى: M. Moezzi, "Only the Man of God is Human: Theology and Mystical Anthropology According to Early Imāmī Exegesis (Aspects of Twelver Imamology IV), *Shīʿism* (2003), 19.

[١٦] يراجع عند: Eliash, *Alī*, 156.

[١٧] الصّدوق، **عيون أخبار الرّضا**، ١: ٦٣.

[١٨] عبد الرّحمن بن أحمد الخزاعيّ، **كتاب الأربعين عن الأربعين في فضائل عليّ أمير المؤمنين** (طهران: مؤسّسة الطّباعة والنّشر، ١٩٩٦)، ٧٤. يقارن أيضًا لدى: عليّ بن محمّد الشّافعيّ الشّهير بابن المغازليّ، **مناقب الإمام عليّ بن أبي طالب** (بيروت: دار الأضواء، ١٩٨٣)، ٩٠.

[١٩] ينسب الشّيعة لسُليم بن قيس كتابًا يدعى **كتاب سُليم**. ينظر عند: أحمد بن عليّ النّجاشيّ، **رجال النّجاشي** (بيروت: دار الأضواء، ١٩٨٨)، ١: ٦٨-٦٩. يقارن مع ما ذكره كولبرغ بشأن هذا الكتاب والخلاف حوله: E. Kohlberg, "From Imāmiyya to Ithnā - ʿAshariyya", *Belief and Law in Imāmī Shīʿism*, (1991), 532-533.

[٢٠] سُليم بن قيس الهلاليّ، **كتاب سُليم بن قيس الهلاليّ** (إيران: مطبعة الهادي، ١٩٩٩)، ٣٧٧.

تلك الرّوايات، يتمّ التّأكيد دائمًا على أنّ عليًّا – كالأئمّة - نورٌ نازلٌ من السّماء يستمدّ منه المؤمن – الشّيعيّ - قبساتٍ إيمانيّةً حتّى انقضاء أجله.[٢١] يرد هذا التّأكيد في تفاسير شيعيّة قديمة لبعض النّصوص القرآنيّة ذات الصّلة،[٢٢] كما أنّ حقيقة زواج عليّ من فاطمة الزّهراء لم تنج من محاولة خلق علاقة وثيقة بينها وبين حضور كليهما في عالم الذّرّ بشكليهما النّورانيّين.[٢٣] لم تحتكر مصادر الشّيعة القديمة موضوع النّور المحمّديّ العلويّ دون غيرها، فبعض مصادر أهل السّنّة السّلفيّة أقرّت - في بعض الحالات - هذا التّصوّر الّذي يبدو شيعيًّا خالصًا، إذ ورد عند الإمام أحمد بن حنبل (ت. ٢٤١هـ/ ٨٥٥م)، وهو أحد أصحاب المذاهب الأربعة الّتي تمثّل جمهور أهل السّنّة، في فضائل عليّ أنّ أحدهم سمع النّبيّ يقول: "كنت أنا وعليّ نورًا بين يدي الله عزّ وجلّ قبل أن يُخلق آدم بأربعة عشر ألف عامٍ".[٢٤] إلّا أنّ مصادر الشّيعة تلتفت إلى هذه المسألة

---

[٢١] ينظر لدى: الكُلَيْني، **الأصول من الكافي**، ١: ١٩٤، والخبر فيه عن أبي خالد الكابليّ أنّه قال: سألت أبا جعفر عليه السّلام عن قول الله عزّ وجلّ : "فآمنوا بالله ورسوله والنّور الّذي أنزلنا" (القرآن، التّغابن، ٦٤: ٨)، فقال: يا أبا خالد، النّور والله نور الأئمّة من آل محمّد صلّى الله عليه وآله إلى يوم القيامة، وهم والله نور الله الّذي أُنزل، وهم والله نور الله في السّماوات وفي الأرض، والله يا أبا خالد لنور الإمام في قلوب المؤمنين أنور من الشّمس المضيئة بالنّهار، وهم والله ينوّرون قلوب المؤمنين، ويحجب الله عزّ وجلّ نورهم عمّن يشاء فتظلم قلوبهم...".

[٢٢] يراجع لدى: عليّ بن إبراهيم القمّيّ، **تفسير القمّيّ** (بيروت: مؤسّسة الأعلميّ، ١٩٩١)، ٢: ٣٥٤. في تفسير عليّ بن إبراهيم القمّيّ للآية ٨ من سورة التّغابن (٦٤)، الّتي تقول: "فآمنوا بالله ورسوله والنّور الّذي أنزلنا والله بما تعملون خبير"، إذ أشار عند تفسيره معنى "النّور الّذي أنزلنا" أنّ النّور هو أمير المؤمنين عليّ.

[٢٣] عن هذا المعنى يراجع لدى: محمّد بن بابويه القمّيّ الصّدوق، **معاني الأخبار** (طهران: مكتبة الصّدوق، ١٩٥٩)، ١٠٣-١٠٤. جاء في الرّواية والخبر عن موسى بن جعفر عليهما السّلام يقول: بينما رسول الله صلّى الله عليه وآله جالس إذ دخل عليه مَلَك له أربعة وعشرون وجهًا، فقال له رسول الله صلّى الله عليه وآله: حبيبي جبريل، لم أرك في مثل هذه الصّورة! فقال المَلَك: لست بجبرائيل، أنا محمود، وبعثتي الله- عزّ وجلّ- أن أزوّج النّور من النّور. قال: مَن مِن مَن؟ قال: فاطمة من عليّ. قال: فلمّا ولّى المَلَك إذا بين كتفيه مكتوبٌ "محمّد رسول الله، عليّ وصيّه"، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: منذ كم كُتب هذا بين كتفيك؟ فقال: من قبل أن يخلق الله- عزّ وجلّ- آدم باثنين وعشرين ألف عامٍ". يأتي الخبر الأخير دليلًا على توظيف التّراث الشّيعيّ القديم لفكرة النّور القديم الّذي يدخل فيه عليّ بن أبي طالب، ويجد الفكر الشّيعيّ فيها وسيلةً لإحاطة عليّ بهالةٍ مقدّسةٍ ترفع منزلته وتدنيه من النّبيّ.

[٢٤] يُنظر عند: ابن حنبل، **فضائل الصّحابة**، ٢: ٦٦٢-٦٦٣.

بعناية خاصّة بالإضافة إلى حضورها الكمّيّ المتميّز، والّذي يعكس مدى أهمّيّتها في التّصوّر الشّيعيّ المبكّر مقارنةً مع التّصوّر السّنّيّ الّذي يغضّ الطّرف بشكل ما عن إحقام مسألة النّور المحمّديّ العلويّ في المناسبات الّتي ينظر إليها التّراث الشّيعيّ كمسوّغات منهجيّة ترفع قيمة المعتقد الشّيعيّ.

في المرحلة الثّانية الّتي عاشتها شخصيّة عليّ في عالم ما قبل الولادة، يتجلّى وبشدّة مفهوم عالم الذّرّ الأكثر قربًا من الحسّ البشريّ، إذ تنتقل شخصيّة عليّ من طور النّور المقدّس إلى طور آخر متأخّر نسبيًّا يتمثّل مبدئيًّا في مفهوم "الميثاق" بكامل صورته المذكورة في النّصوص الدّينيّة.

تكرّر مصطلح "الميثاق" العقائديّ في القرآن أكثر من عشرين مرّة، وغالبًا ما كان يراد به تلك المعاهدة القديمة جدًّا، الّتي عُقدت بين الذّات الإلهيّة وبأمر منها مع البشر قبل خلقهم،[٢٥] وقد وُفّق النّصّ القرآنيّ المذكور سابقًا في ترسيخ هذه المعاهدة الّتي لاقت حضورًا واضحًا في المصادر الشّيعيّة القديمة.

تكتسب شخصيّة عليّ مضامين جديدةً وهامّةً من خلال الرّوايات الّتي عالجت مسألة الميثاق في التّراث الشّيعيّ المبكّر. تلك الحادثة الفاصلة في مرحلة ما قبل التّاريخ، لا تنحصر في دورها الزّمنيّ القديم، والّذي استثمره التّراث الإسلاميّ بنحو عامّ والتّراث الشّيعيّ على نحو من الخصوص، وإنّما تتشعّب مربّجات الاهتمام والتّفصيل العقديّ لهذه الحادثة في التّراث الشّيعيّ بشكل يجعلها مغايرة إلى حدّ كبير في ملامحها عن الحادثة وعناصرها كما تنجلي حسب التّراث السّنّيّ القديم، وتنطوي فيما تنطوي عليه، على بنيويّة دقيقة مدروسة تهدف إلى إعلاء شأن عليّ وشخصيّته الشّيعيّة إلى درجة تستقيم مع حدود العقيدة الشّيعيّة ومقاصدها في مراحلها المبكّرة. من المرجّح أنّ المحاولات التّراثيّة الأولى لإناطة كثير من التّفصيلات المتعلّقة بمسألة الميثاق بشخصيّة عليّ قد تنامت بوتيرة متأنّيةٍ حتّى أصبحت في مراحل متأخّرة - قد يصعب تحديدها على وجه الدّقّة - صيغة إجماعيّة لا يمكن استثناؤها من محتوى التّراث الشّيعيّ الإماميّ الّذي يُعزى إليه ذلك المجهود المكثّف لتمجيد الأئمّة قاطبة وعلى رأسهم الإمام عليّ. تبدأ عمليّة إبرام

[٢٥] يراجع ذلك بتوسّع عند: Moezzi, *The Divine Guide*, 33-34.

"الميثاق" بُعَيد خلق آدم أوّل البشر، وقد وردت تفاصيل هذه الاتّفاقية في مصادر إسلاميّة سنّيّة وشيعيّة بتباين واختلاف واضحين.[٢٦]

يشار إلى أنّ مصادر أهل السّنّة قد أشارت أنّ الله خلق آدم، فمسح على ظهره، فأخرج بقدرته كلّ نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة، وخاطبهم قائلًا لهم جميعًا: "ألست بربّكم قالوا بلى"، فأقرّوا بذلك للخالق بالرّبوبيّة الخالصة.[٢٧] أمّا المصادر الشّيعيّة فقد سلّمت بأنّ الميثاق قد اشتمل إلى جانب الإقرار بالرّبوبيّة لله الإقرار للنّبيّ محمّد بالنّبوّة ولعليّ بالوَلاية وإمرة المؤمنين،[٢٨] إذ روي أنّ جعفر الصّادق (ت. ١٤٨هـ/ ٧٦٥م) قد قال: "أخرج الله من ظهر آدم ذرّيته إلى يوم القيامة كالذّرّ، فعرّفهم نفسه، ولولا ذلك لم يعرف أحد ربّه وقال: (ألست بربّكم؟ قالوا: بلى)، وإنّ هذا محمّد رسول الله وعليّ أمير المؤمنين".[٢٩] بيد أنّ روايات أخرى تخصّ الأنبياء بالميثاق دون سائر الذّرّيّة، إذ روي عن الإمام الباقر (ت. ١١٤هـ/ ٧٤٣م) أنّه كان يقول: "إنّ الله تبارك وتعالى أخذ ميثاق النّبيّين على وَلاية عليّ وأخذ عهد النّبيّين بوَلاية عليّ".[٣٠] تنجلي في هذا السّياق العلاقة الوطيدة بين مفهوم "الميثاق" والوَلاية الّتي تعتبر أهمّ أصول المعتقد

---

[٢٦] إنّ مسألة أخذ الميثاق على الذّرّية ليست محسومة في المصادر السّنّيّة القديمة، فأهل السّنّة لم يجمعوا بكاملهم على قبولها والتّسليم بشأنها، إذ شكّك بعض أهل السّنّة في مصداقيّتها وأعملوا فيها المطاعن من خلال تساؤلهم عن جدواها وفائدتها، واستدلّوا بذلك على نفي كونها ووقعها أصلًا، ومنهم الماتريديّ (ت. ٣٣٣هـ/ ٩٤٤م) وغيره من أهل السّنّة والقدريّة والمعتزلة. يُنظر عن ذلك لدى: محمّد بن محمّد البَزدَوي، **أصول الدّين** (القاهرة: دار إحياء الكتب العربيّة، ١٩٦٣)، ٢١١-٢١٢.

[٢٧] للوقوف على روايات سنّيّة قديمة توضّح مقصديّة الميثاق، كما يعتقد أهل السّنّة، يمكن النّظر والمراجعة لدى: محمّد بن سعد، **الطّبقات الكبرى** (بيروت: دار الفكر، ١٩٩٤)، ١٣-١٦.

[٢٨] يراجع ذلك لدى: فرات بن إبراهيم الكوفيّ، **تفسير فرات الكوفيّ** (بيروت: مؤسّسة النّعمان، ١٩٩٢)، ١: ١٤٨-١٤٩. في رواية معنعنة عن جعفر الصّادق (ت. ١٤٨هـ/ ٧٦٥م) أنّه قال في تفسير آية الميثاق: "أخرج الله من ظهر آدم ذرّيته إلى يوم القيامة فخرجوا كالذر فعرّفهم نفسه وأراهم نفسه، ولولا ذلك لم يعرف أحد ربه قال: ألست بربكم؟ قالوا: بلى. قال: فإنّ محمّدا صلّى الله عليه وآله وسلّم عبدي ورسولي، وإنّ عليًّا أمير المؤمنين خليفتي وأميني". ينظر ذلك أيضًا لدى: الصّفّار، **بصائر الدّرجات**، ٨٣.

[٢٩] يُنظر عند: **ن.م.**، ٨٤.

[٣٠] يُنظر عند: **ن.م.**، ٨٥. يقارن أيضًا بروايات أخرى مشابهة لدى: الكُلَيني، **الأصول من الكافي**، ٢: ٨-٩.

الشّيعيّ ومرتكزًا من مرتكزات شخصيّة عليّ في حلّتها الشّيعيّة.[٣١] بات معلومًا، أنّه كي يثبت الشّيعة قِدَم معتقدهم، قرنوا الميثاق بشخصيّة عليّ بقرينة الوَلاية، وكانت شخصيّة عليّ سابقة للميثاق ومكمّلة له في آن واحد،[٣٢] ولا يعبّر عليّ في هذا المشهد الحيويّ عن ذاته فحسب، وإنّما تمثّل شخصيّته المعتقد الشّيعيّ الّذي حرص تراثه على إثبات أقدميّته على سائر الملل والفرَق المذهبيّة، بما يضمن له ارتقاءً فوقها.[٣٣]

تنعكس الصّلة الدّالّة بين الميثاق ووَلاية عليّ في التّراث الشّيعيّ من خلال أحاديث وروايات كثيرة رصدتها في غير واحد من الجوانب المتمّمة لها، وقد كان للتّفسير الشّيعيّ للنّصّ القرآنيّ دور أوّليّ في ذلك.[٣٤] لعلّ من آيات ذلك تفسير الشّيعة لمعنى الأمانة الّتي عُرضت على الخلق في عالم الذّرّ، والّتي ورد ذكرها في نصّ قرآنيّ مشهور،[٣٥] إذ تنحصر دلالة الأمانة المذكورة بمفهوم الوَلاية في ضوء المعالجة التّفسيريّة الشّيعيّة،[٣٦] وبهذه الآليّة يفسّر الشّيعة تعليم آدم الأسماءَ كلّها في عالم الذّرّ، ومنطلق تفسيرهم للآية الّتي تخبر بذلك، والّتي تقول: "وَعَلَّمَ

---

٣١ وَلاية عليّ ركن أساسيّ يدخل في منظومة الأركان الخمسة الّتي يقوم عليها المعتقد الشّيعيّ، فقد روي عن الباقر قوله: "بُنِي الإسلام على خمس: الصّلاة والزّكاة والصّوم والحجّ والوَلاية، ولم يُنادَ بشيءٍ ما نودي بالوَلاية يوم الغدير". وردت هذه الرّواية لدى: الكُلَيني، **الأصول من الكافي**، ٢: ٢١، ١٨-١٩.

٣٢ كذلك تورد بعض الرّوايات أنّ عليًّا سارع إلى المشاركة في الميثاق المعقود في عالم الذّرّ، وأنّه قد نطق عندئذٍ قائلًا لله: أنت ربّنا. يُنظر ذلك عند: الصّدوق، **علل الشّرائع**، ١١٨.

٣٣ איתן קולברג, "השיעה: סיעתו של עלי", **מחאה ומהפכה באסלאם השיעי** (תל-אביב: הקיבוץ המאוחד, תשמ"ו), 23.

٣٤ يُنظر لدى: מאיר בר-אשר, **סוגיות בפרשנות הקראן השיעית האמאמית הקדומה**. עבודת דוקטור (ירושלים: האוניברסיטה העברית, תשנ"א), 120-125.

٣٥ **القرآن الكريم**، سورة الأحزاب ٣٣: ٧٢؛ والنّصّ بتمامه: (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا).

٣٦ الصّدوق، **معاني الأخبار**، ١١٠؛ الكُلَيني، **الأصول من الكافي**، ١: ٤١٣.

آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ"،[٣٧] يسير بانسجام تامٍّ مع مبدأ وَلاية عليّ القديمة والمتأصّلة في تلك الحقبة المتقدّمة.[٣٨]

إنّ عمليّة توثيق العلاقة الرّوحانيّة بين وَلاية عليّ وعالم الذّرّ قد استندت إلى سياقات متعدّدة تتضافر معًا في في صياغة حلقة هامّة من ترجمة عليّ الشّيعيّة. يشهد على هذا معتقدات قديمة تنسلّ من روايات وأخبار لها علاقة مباشرة بشخصيّة عليّ في عالم ما قبل الوجود البشريّ، ولعلّ منها القول إنّ اسم عليّ يعود إلى تلك الفترة الغابرة، وإنّ الله سمّى عليًّا باسمه المشتقّ من اسم الله الأعلى،[٣٩] كما تُحيل الخطيئة البشريّة الأولى الّتي اقترفها آدم أثناء عيشه في الجنّة إلى حسدٍ آدميّ طال شخص الأئمّة وفي طليعتهم عليّ، وذلك لأنّ الله أخبر آدم بهم وعرّفه منزلتهم الرّاقية الّتي علت منزلته رغم نبوّته وسابقته في البشر، وما امتاز به على سائر المخلوقات حتّى سجدت له إلّا الشّيطان كُفرًا. يبدو من خلال بعض الرّوايات الشّيعيّة القديمة أنّ نظرة آدم بعين الحسد لعليّ والأئمّة كانت باعث إخراجه من العناية المقدّسة وطرده من رخاء الجنّة ونزوله إلى الأرض وشقائها.[٤٠] غير أنّ آدم قد كفّر عن خطيئته الّتي اقترفتها يداه بتوبته النّصوح الّتي ما كانت لتتمّ لولا كلمات معيّنة ألقتها الذّات الإلهيّة إليه، وقد كانت تلك الكلمات الغيبيّة، غير المعلومة، محطّ تأويل الشّيعة للنّصّ القرآنيّ الّذي أفلح في تطويع النّصّ الحرفيّ: "فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيم"،[٤١] إلى الدّلالة الرّمزيّة الّتي

---

[٣٧] **القرآن الكريم**، سورة البقرة، ٢: ٣١.

[٣٨] يراجع التّفسير الشّيعيّ للنّصّ المذكور لدى: فرات، **التّفسير**، ١: ٥٦-٥٧.

[٣٩] فرات، **التّفسير**، ١: ٥٦. يقارن مع: Moezzi, *The Divine Guide*, 30.

[٤٠] الصّدوق، **معاني الأخبار**، ١٠٩-١١٠، ١٢٤-١٢٥. كذلك لدى الصّدوق، **عيون أخبار الرّضا**، ٢: ٢٧٤-٢٧٥؛ ويراجع لدى: مئير بار- أشير، "بنو إسرائيل كأنماط أوّليّة للشّيعة"، **الكرمل: أبحاث في اللّغة والأدب** ١٨-١٩ (١٩٩٧-١٩٩٨)، ٥٨. يقارن أيضًا مع: E. Kohlberg, "Some Shīʿī Views of the Antediluvian World", *Studia Islamica* 52 (1980), 41-66.

[٤١] **القرآن الكريم**، سورة البقرة، ٢: ٣٧.

تستجيب للمصلحة العقديّة،[٤٢] حتّى صارت الكلمات القديمة مألوفةً لكلّ شيعيّ مؤمن مصدّق أنّها لا تتعدّى أسماء الأئمّة وفي مقدّمتهم عليّ. تأصّل ذلك الإيمان الرّاسخ بفضل التّأويل الشّيعيّ البسيط للنّصّ القرآنيّ المذكور، والّذي أكّد في أكثر من سياقٍ أنّ آدم قد سأل الله التّوبة بحقّ محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين، فتاب الله عليه ببركة تلك الأسماء المقدّسة،[٤٣] فكانت السّبيل إلى أوّل شفاعة أقرّها التّراث الشّيعيّ القديم.[٤٤]

يعود مفهوم الشّفاعة الشّيعيّ في مرجعيّته الأولى إلى عالم الذّرّ، ويحتلّ فيه عليّ موقعًا جليلًا، فتشفّع آدم به وبسائر أصحاب الكساء الأربعة نيلًا لتوبة خالصة، لم يكن سببًا سابقًا في بداية حضور مفهوم الشّفاعة تراثيًّا لدى الشّيعة، بقدر ما كان تأويلًا رمزيًّا لاحقًا تمّ تطويعه بوسائل تتّخذ طابعًا عقائديًّا يخدم المعتقد وشخصيّة عليّ الشّيعيّة بمستويات شتّى،[٤٥] فدور عليّ عند

---

[٤٢] ينظر حول مفهوم التّأويل ودور الشّيعة فيه لدى: F. Poonawala, "Ta'wīl", *The Encyclopaedia of Islam*, Second Edition X, 391-391.

[٤٣] للنّظر في روايات شيعيّة قديمة تعكس هذا التّأويل، يمكن مراجعة كلّ من: الخزاعيّ، **الأربعين**، ٥٩؛ فرات، **التّفسير**، ١: ٥٧-٥٨؛ محمّد بن بابويه الصّدوق، **الخصال** (النّجف: المطبعة الحيدريّة، ١٩٧١)، ٢٧٦؛ وكذلك في المصادر الإسماعيليّة ومنها لدى: القاضي أبو حنيفة النّعمان بن محمّد، **شرح الأخبار في فضائل الأئمّة الأطهار** (بيروت: دار الثّقلين، ١٩٩٤)، ٣: ٦-٧؛ وفي المصادر السّنّيّة المتشيّعة ومنها لدى: ابن المغازلي، **المناقب**، ٦٣. يقارن مع: בר- אשר, **סוגיות**, 161-160.

[٤٤] تكرّر استخدام هذه الكلمات المقدّسة في مناسبات أخرى في التّراث الشّيعيّ، ومنها ما جاء في سياق تأويل الآية: "وإذ ابتلى إبراهيم ربّه بكلمات فأتمّهنّ" (٢: ١٢٤)، ينظر ذلك لدى: الصّدوق، **الخصال**، ٢٧٦-٢٧٨؛ وأيضًا في: **معاني الأخبار**، ١٢٦-١٣١.

[٤٥] يُنظر لدى: الصّدوق، **معاني الأخبار**، ٥٦-٥٧، وهي رواية توضّح مدى بروز مفهوم الشّفاعة في حادثة توبة آدم من الخطيئة الأولى، وفي الرّواية أنّ النبيّ قال لعليّ بن أبي طالب: "لمّا خلق الله- عزّ وجلّ ذكره- آدم ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته، وأسكنه جنّته، وزوّجه حوّاء أمته، فرفع طرفه نحو العرش، فإذا هو بخمسة سطور مكتوبات. قال آدم: يا ربّ، من هؤلاء؟ قال الله- عزّ وجلّ- له: هؤلاء الّذين إذا تشفّع بهم إليّ خلقي شفّعتهم، فقال آدم: يا ربّ بقدرهم عندك ما اسمهم؟ قال تعالى: أمّا الأوّل فأنا المحمود وهو محمّد، والثّاني فأنا العالي وهو عليّ، والثّالث فأنا الفاطر وهي فاطمة، والرّابع فأنا المحسن وهو الحسن، والخامس فأنا ذو الإحسان وهو الحسين، كلّ يحمد الله عزّ وجلّ". للوقوف على مفهوم الشّفاعة في التّراث الشّيعيّ المبكّر وعلاقاته الضّمنيّة مع روايات عالم الذّرّ ودور الأئمّة فيها يفضّل الرّجوع إلى: בר- אשר, **סוגיות**, 164-160.

تشفّعه لآدم قبل آلاف السّنوات من ولادته، ليس إلّا تمهيدًا لتبرير شفاعته في مراحل متأخّرة، تتلخّص في حقّه ودوره في يوم القيامة، إذ يشفع فيه عليّ لشيعته فيدخلون بفضله إلى الجنّة زمرًا.[٤٦]

وردت في التّراث الشّيعيّ القديم إشارات وتنبيهات إلى عمليّة خلق الأئمّة من طينة شريفة طاهرة تدعى علّيّين، وخلق الشّيعة من طينة أخرى أقلّ تشريفًا من الأولى، وخلق أعداء الشّيعة من طينة وضيعة تدعى سجّين، وأنّ أولياءهم خلقوا من طينة أوضع منها.[٤٧] حقّق هذا التّقسيم لعليّ معرفةً خاصّةً مكّنته في ضوء التّراث الشّيعيّ من تمييز أوليائه ومعرفة أعدائه في حياته، إذ مكّنته أيضًا من خلع قناع التّصنّع عن وجوه بعض المنافقين الّذين أظهروا له الوَلاية والطَاعة وأبطنوا ضدّها.[٤٨]

---

[٤٦] للوقوف على روايات ترصد دور عليّ في يوم القيامة وشفاعته لشيعته يمكن النّظر لدى: الصّدوق، **معاني الأخبار**، ١١٦-١١٧؛ محمّد بن محمّد بن النعمان الشّيخ المفيد، **مسار الشّيعة** (بيروت: دار المفيد، ١٩٩٣)، ٢٩-٣١؛ الصّدوق، **الاعتقادات** (بيروت: دار المفيد، ١٩٩٣)، ٧٠. بالنّسبة لاعتقاد الشّيعة في دور عليّ وشفاعته لهم يوم القيامة، يراجع ما جاء عند: الشّيخ المفيد، **أوائل المقالات** (بيروت: دار المفيد، ١٩٩٣)، ٤٧. إذ يقول الشّيخ المفيد (ت. ٤١٣هـ/ ١٠٢٢م) في ذلك: "واتّفقت الإماميّة على أنّ رسول الله (ص) يشفع يوم القيامة لجماعة من مرتكبي الكبائر من أمّته، وأنّ أمير المؤمنين (ع) يشفع في أصحاب الذّنوب من شيعته".

[٤٧] عن الإمام عليّ بن الحسين (ت. ٩٥هـ/ ٧١٣م) أنّه قال: "قد أخذ الله ميثاق شيعتنا معنا على وَلايتنا لا يزيدون ولا ينقصون، إنّ الله خلقنا من طينة علّيين، وخلق شيعتنا من طينة أسفل من ذلك، وخلق عدوّنا من طينة سجّين، وخلق أولياءهم من طينة أسفل من ذلك". الصّفّار، **بصائر الدّرجات**، ٣٦. يقارن أيضًا لدى: Moezzi, "Only the Man of God is Human", 12-11. يدلّ هذا التّصوّر الشّيعيّ المبكّر على محاولات إماميّة لتصنيف النّاس في أربع فئات، تضمّ الفئة الأولى خاصّة الخاصّة وهم الأئمّة، ثمّ يليهم المؤمنون الشّيعة وهم أدنى منزلةً، ثمّ يليهم أعداؤهم من النّواصب أي غير الشّيعة من المسلمين، وهم أدنى منزلةً، ثمّ يليهم غير الشّيعة من مؤيّدي أعدائهم.

[٤٨] ذكر الإمام جعفر الصّادق (ت. ١٤٨هـ/ ٧٦٥م): "أنّ رجلًا جاء إلى أمير المؤمنين عليه السّلام وهو مع أصحابه، فسلّم عليه، ثمّ قال له: أنا والله أحبّك وأتولّاك، فقال له أمير المؤمنين عليه السّلام: كذبت، قال بلى، والله إنّي أحبك وأتولاّك، فكرّر ثلاثًا، فقال له أمير المؤمنين عليه السّلام: كذبت، ما أنت كما قلت، إنّ الله خلق

تناولت المصادر الشيعيّة القديمة المرحلة البينيّة الّتي توسّطت عالم الذّرّ وولادة عليّ البشريّة بشيء من التّبسيط والوضوح، إذ ركّز التّراث الشّيعيّ القديم على واقعة انتقال النّور المقدّس- الّذي مثّل النّبيّ وعليًّا- منذ هبوط آدم إلى الأرض وبداية الدّورة الحياتيّة لبني البشر، بواسطة آدم- أبي البشر- إلى عليّ عند ولادته من خلال أصلاب رجال معيّنين تمّ انتقاؤهم وفق معايير مناسبة تهيّئ الفائدة المرجوّة للمعتقد الشّيعيّ وترسّخ مكانته.[٤٩] بيد أنّه من الحقيق ملاحظة انتقال النّور المقدّس من خلال السّلسلة المتتابعة حتّى وصوله إلى عليّ، فذلك يدلّ في مجمل الأمر على الالتفات الشّديد لإثبات مبدأ الوصيّة وحقوقها الّتي تؤول إلى عليّ وإمامته.[٥٠]

أقرّ أساطين التّراث العقديّ الشّيعيّ الإماميّ مسألة عالم الذّرّ وفكرة المرحلة القبليّة الّتي سبقت مرحلة البشريّة،[٥١] ويمثّل ذلك الإقرار تسليمًا بما حملته الرّوايات المتقدّمة من دلالات خاصّة ترتهن بشخصيّة عليّ في المنظور الشّيعيّ. في جانب آخر، ورغم حرص بعض مصادر أهل السّنّة القديمة على الإقرار ضمنيًّا بأزليّة عالم الذّرّ وثبوته،[٥٢] فإنّها تحصر اهتمامها به، تعظيمًا لشأن

الأرواح قبل الأبدان بألفي عام، ثمّ عرض علينا المحبّ لنا، فوالله ما رأيت روحك فيمن عرض، فأين كنت؟ فسكت الرّجل عند ذلك ولم يراجعه". ترد الرّواية لدى: الكُلَيني، **الأصول من الكافي**، ١: ٤٣٨.

٤٩ للوقوف على السّلاسل الّتي يقترحها التّراث الشّيعيّ لانتقال النّور من آدم حتّى عليّ يمكن العودة إلى: عليّ بن الحسين بن بابويه القمّيّ الأب (ت. ٣٢٩هـ/ ٩٤٢م)، **الإمامة والتّبصرة من الحيرة** (بيروت: مؤسّسة آل البيت لإحياء التّراث، ١٩٨٧)، ١٥٣-١٥٥؛ وأيضًا لدى: الصّدوق، **كمال الدّين**، ٢٠٣-٢١١. يجدر أيضًا معاينة: Moezzi, *The Divine Guide*, 41-42؛ وأيضًا Kohlberg, "Some Shīʿī Views", 41-66.

٥٠ يُنظر لدى: **ن.م.**، 42.

٥١ يُنظر على سبيل المثال لدى: الشّيخ المفيد، **تصحيح اعتقادات الإماميّة** (بيروت: دار المفيد، ١٩٩٣)، ٧٩-٨٧؛ ولدى: عليّ بن الحسين الشّريف المرتضى، **رسائل الشّريف المرتضى** (بيروت: مؤسّسة النّور للمطبوعات، ١٩٨٩)، ١: ١١٣-١١٥.

٥٢ من الأدلّة النّصّيّة الّتي تؤكّد رسوخ مسألة عالم الذّرّ في التّراث السّنّيّ القديم ما ورد من روايات لدى كلّ من: محمّد بن إسحاق، **السّيرة النّبويّة** (القاهرة: دار أخبار اليوم، ١٩٩٨)، ١: ٢٠٤، وفيه عن الشّعبيّ أنّه قال: "سُئل رسول الله متى استنبئت؟ فقال: بين خلق آدم ونفخ الرّوح فيه". ابن سعد، **الطّبقات**، ١: ١٤، وفيه عن سعيد ابن جبير عن ابن عبّاس قال: "خلق الله آدم بدحناء فمسح ظهره، فأخرج كلّ نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة، قال: (ألست بربّكم؟ قالوا بلى). قال: يقول الله: (شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنّا كنّا عن هذا غافلين). قال سعيد: فيرون أنّ الميثاق أخذ يومئذ"، ابن سعد، **ن.م.**، ١: ١٠٠. عن قتادة قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم:

النّبيّ محمّد وحده، دون أيّ إشارةٍ مباشرةٍ أو غير ذلك إلى شخصيّة أخرى تشاطره ذلك الشّرف الرّفيع، ولا حتّى عليّ بن أبي طالب.

يثبت من خلال ما ذُكر أنّ حضورا مميّزًا قد لازم شخصيّة عليّ في عالم سابق لولادته البشريّة، ذلك العالم القديم الّذي برزت تسميته بعالم الذّرّ، قد وهب لعليّ ملامح خاصّة رفعته إلى مصافّ خاصّة الخلق وصفوتهم. يبدو واضحًا أنّ التّراث الشّيعيّ القديم حافظ على دور نوعيّ موجّه يسوّغ هالة مقدّسة تحيط بشخصيّة عليّ بن أبي طالب، ففي الحين الّذي وظّف فيه فكرة عالم الذّرّ كمفهوم اعتقاديّ عند أهل السّنّة لإثبات عظمة الخالق من جهة وتشريف النّبيّ والإقرار بالنّبوّة المحمّديّة من جهة ثانية، استطاع الشّيعة من خلال تراثهم المعالج لذات المسألة، تثبيت كثير من معتقداتهم وعلى رأسها وَلاية عليّ وإمامته الّتي يرتكز عليها المعتقد الشّيعيّ الإماميّ، وترسيخ أفكار شيعيّة أخرى تصبّ في مصلحة العقيدة والتّراث، وتدفع في الوقت نفسه شخوصًا كعليّ إلى علياء تحيط بها هالة من القدسيّة والوقار المذهبيّ.[٥٣]

ولادة عليّ

كانت ولادة عليّ البيولوجيّة مدار تباين بين المصادر القديمة، ويبرز ذلك التّباين من خلال مراجعات نصّيّة ومسح عامّ للرّوايات التّراثيّة - ذات الصّلة - الّتي عالجت مشهد الولادة وقامت بتوثيقه، فقراءة أوّليّة في مصادر الشّيعة الإماميّة تفصح عن ولادة شخصيّة مقدّسة، خضعت لا كغيرها إلى ترتيبات فريدة جعلت من ولادتها نتاجًا متوقّعًا منذ القدم.

التزمت المصادر التّاريخيّة السّنّيّة - في نفس الفترة - رصدًا عاديًّا لمشهد ولادة عليّ، ولم تتناول أيّ ظاهرة تمتّ للظّواهر الخارقة بصلة، ويمكن مردّ هذا التّفاوت، في محاولات جدّيّة،

"كنت أوّل النّاس في الخلق وآخرهم في البعث"؛ محمّد بن عيسى التّرمذيّ، **الجامع الكبير** (بيروت: دار الغرب الإسلاميّ، ١٩٩٨)، ٦: ٧، وفيه عن أبي هريرة، قال: قالوا: يا رسول الله، متى وجبت لك النّبوّة؟ قال: "وآدم بين الرّوح والجسد".

٥٣ يراجع ما ورد حول مفهوم ولاية عليّ بن أبي طالب وفق المنظور العقائديّ الشّيعيّ، وذلك عند: Abdulaziz Sachedina, "The Wali of God and the Wasi of the Prophet: ʿAlī B. Abī Ṭālib in Twelver Shiʿite Belief", in: Ahmet Yasar Ocak (ed.), *From History to Theology: Ali in Islamic Beliefs* (Turkey: Turk Tarih Kurumu, 2005), 4-11.

من جانب التّراث الشّيعيّ القديم، وسعي حثيث منه، إلى رفع قيمة الوليد الجديد القديم، الّذي ينتظره مستقبلٌ حافلٌ، ويعوّل عليه في تبرير المعتقد الشّيعيّ. التفتت بعض المصادر الشّيعيّة القديمة إلى أهمّيّة عليّ من خلال حادثةٍ تتكرّر يوميًّا مع غيره دون أن يعير لها النّاس أيّ تقديس، فبدأت تلك المصادر مسيرة الولادة من قبل حدوثها بسنوات طوال، إذ توضّح من خلال سياق سابق مدى تركيز مصادر الشّيعة القديمة على حضور عليّ في فترات سبقت التّاريخ البشريّ بقرون، وما ذلك إلّا تأهّبًا لولادته.

ترقّب العالم ولادة عليّ قبل وقوعها وفق التّراث الشّيعيّ، فقد تواترت الأخبار عن قرب ولادته ذات الشّأن العظيم، فإنّ البشارات الّتي انعقدت في التّراث الشّيعيّ، والّتي أنبأت بولادة عليّ، تعدّدت في مشاربها، فتارةً يُذكر أنّ أباه قد تنبّأ بولادته قبل ثلاثين عامًا من حدوثها،[٥٤] وتارةً يتولّى الكهّان والعرّافة دور التّبشير بمولده، ضاربين لذلك موعدًا وأخبارًا عن مزايا المولود المنتظر العجيبة،[٥٥] وتارةً يؤدّي ذلك آخرون بتفصيلات مختلفة،[٥٦] في حين تلمّح فيه بعض الرّوايات إلى بشارات الكتب السّماويّة المقدّسة بولادته ودوره المستقبليّ.[٥٧]

ذكر الكُلَيني (ت. ٣٢٩هـ/ ٩٤٢م) في **أصوله** عن الإمام جعفر الصّادق (ت. ١٤٨هـ/ ٧٦٥م) قوله: "إنّ فاطمة بنت أسد جاءت إلى أبي طالب لتبشّره بمولد النّبيّ صلّى الله عليّه وآله، فقال أبو طالب: اصبري سبتًا أبشّرك بمثله إلّا النّبوّة، وقال: السّبت ثلاثون سنة، وكان بين رسول الله - صلّى الله عليّه وآله - وأمير المؤمنين عليه السّلام ثلاثون سنة".[٥٨] تستبطن الرّواية الأخيرة بمضمونها الظّاهر مدلولاتٍ هامّةً يوليها الشّيعة تقديرًا واهتمامًا بالغين، فهي إلى تبشيرها بميلاد عليّ، ترمز أيضًا إلى مقايسة شيعيّة بين النّبيّ صاحب الرّسالة وعليّ صاحب الوَلاية، فالكُلَيني (ت. ٣٢٩هـ/ ٩٤٢م)- كما يبدو - ما كان ليورد مثل هذه الرّواية إلّا للتّلميح

---

٥٤ الصّدوق، **معاني الأخبار**، ٤٠٣؛ الكُلَيني، **الأصول من الكافي**، ١: ٤٥٤.

٥٥ محمّد بن عليّ الكراجكيّ، **كنز الفوائد** (بيروت: دار الأضواء، ١٩٨٥)، ١: ٢٥٢-٢٥٤. يقارن مع ما ذكر لدى: W. Rice, "ʿAlī in Shīʿah Tradition", *Islamic Law and Legal Theory* (1996), 446.

٥٦ الكراجكيّ، **كنز الفوائد**، ٢: ١٣٧-١٣٩.

٥٧ الصّدوق، **علل الشّرائع**، ١٣٦-١٣٧. يقارن مع: Rice,"Alī", 447.

٥٨ الكُلَيني، **الأصول من الكافي**، ١: ٤٥٢-٤٥٣.

المفضوح فيها بوَلاية عليّ ومصداقيّتها قبل الولادة. لذلك يمكن التّأكيد على أنّ كثيرًا من الرّوايات الّتي نقلت صورًا متعدّدة من أخبار البشارات بولادة عليّ، إنّما جاءت كي ترسّخ مفهوم الإمامة والوَلاية المرهونين بشخصيّة عليّ منذ عصور قديمة. يمكن اعتبار تلك البشارات إرهاصات اعتمدها الفكر الشّيعيّ قديمًا كي تومئ إلى ولادة عليّ وصيّ الأوصياء، وقد تكاملت صور تلك الإرهاصات مع وفرة التّفاصيل الأسطوريّة المحيطة بها.

أجمعت مصادر الشّيعة القديمة على أنّ مخاض ولادة عليّ قد تمّ في جوف الكعبة المشرّفة،[٥٩] في بناء مقدّس اختاره الله كي يحمل شرفَ ميلاد عليّ بين جدرانه العتيقة،[٦٠] حتّى يحظى المولود الجديد بولادة فريدة ليس لها نظير، فلا يشركه فيها صنوٌ من النّاس.[٦١]

---

[٥٩] يراجع مثلًا: المفيد، **الإرشاد** (بيروت: مؤسّسة آل البيت لإحياء التّراث، ١٩٩٥)، ١: ٥؛ محمّد بن الحسن الطّوسيّ، **تهذيب الأحكام** (النّجف: مطبعة النّعمان، ١٩٥٩)، ٦: ١٩. يقارن مع: H. Laoust, "Le Rôle de ʿAlī dans la Sira Chiite", *Revue Des Etudes Islamiques* XXX (1963), 8. يقول السّيّد الحميريّ في مقطوعة له يصف فيها ولادة عليّ في الكعبة:

ولدتـــــه في حرم الإلـــه وأمنـــه ... والبيـت حيـث فـــــناؤه والمسجـد
بـيضاء طاهـــرة الثّـــياب كـريمة ... طـابت وطاب وليـــــدها والمولـد
في ليـلة غابـــــت نـحوس نجومـها ... وبدت مع القـــمر المـــنير الأسعد
ما لـفّ في خـــــرق القوافل مـــثله ... إلّا ابن آمـــــنة النّبيّ مـحمّـــد

إسماعيل بن محمّد الحميريّ، **ديوان السّيّد الحميريّ** (بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٦٦)، ١٥٥.

[٦٠] يقول الشّيخ المفيد (ت. ٤١٣هـ/ ١٠٢٢م) في استهلال كتابه **الإرشاد** الذي خصّص فصولًا منه لترجمة عليّ: "ولم يولد قبله ولا بعده مولود في بيت الله تعالى سوى إكرامًا من الله تعالى له بذلك وإجلالًا لمحلّه في التّعظيم". المفيد، **الإرشاد**، ١: ٥؛ يضيف الشّريف المرتضى (ت. ٤٣٦هـ/ ١٠٤٤م) في شرحه للبيت رقم ٥١ من القصيدة المذهّبة في مدح أمير المؤمنين للسّيّد الحميري (ت. ١٧٣هـ/ ٧٩٨م): "وروي أنّها ولدته (ع) في الكعبة ولا نظير له في هذه الفضيلة". عليّ بن الحسين الشّريف المرتضى، **القصيدة المذهّبة في مدح أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب** (بيروت: دار الكتاب الجديد، ١٩٧٠)، ١١٩. يقارن مع ما ذكر عن ذلك لدى: Laoust, "La Sira", 8.

[٦١] يراجع ما ذكره: W. Sarasin, *Das Bild Alis bei den Historikern der Sunna* (Basel: Buchdruckerei M. Werner-Riehm, 1907), 38-39.

ما كان لولادة عليّ أن تتمّ دون أن تتعهّدها العناية الإلهيّة وتحيطها بظروف فوق عقول البشر وتقديراتهم، ويمكن تدبّر هذا الافتراض الضّمنيّ واستخلاصه بعد قراءة عامّة في تراث الشّيعة القديم، ومن خلال الرّوايات الشّيعيّة الّتي أخصبت ميلاد عليّ بزخم أسطوريّ هادف.

يورد الشّيخ الصّدوق (ت. ٣٨١هـ/ ٩٩١م) في أحد مصنّفاته خبرًا يدلّل به على المذكور آنفًا، وفي الخبر عن سعيد بن جبير قال: قال يزيد بن قعنب: "كنت جالسًا مع العبّاس بن عبد المطّلب وفريق من بني عبد العزّى بإزاء بيت الله الحرام، إذا أقبلت فاطمة بنت أسد أمّ أمير المؤمنين - عليه السّلام -، وكانت حاملة به لتسعة أشهر وقد أخذها الطّلق، فقالت: ربّ إنّي مؤمنة بك وبما جاء من عندك من رسل وكتب، وإنّي مصدّقة بكلام جدّي إبراهيم الخليل، وإنّه بنى البيت العتيق، فبحقّ النّبيّ الّذي بنى هذا البيت، وبحقّ المولود الّذي في بطني لمّا يسّرت عليّ ولادتي. قال يزيد بن قعنب: فرأينا البيت وقد انفتح من ظهره، ودخلت فاطمة فيه وغابت عن أبصارنا، والتزق الحائط، فرمنا أن ينفتح لنا قفل الباب، فلم ينفتح، فعلمنا أنّ ذلك أمر من الله - عزّ وجلّ -، ثمّ خرجت بعد الرّابع وبيدها أمير المؤمنين - عليه السّلام -، ثمّ قالت: إنّي فُضّلت على من تقدّمني من النّساء، لأنّ آسية بنت مزاحم عبدت الله - عزّ وجلّ - سرًّا في موضع لا يحبّ أن يعبد الله فيه إلّا اضطرارًا، وأنّ مريم بنت عمران هزّت النّخلة اليابسة بيدها حتّى أكلت منها رطبًا جنيًّا، فإنّي دخلت بيت الله الحرام، فأكلت من ثمار الجنّة وأوراقها، فلمّا أردت أن أخرج هتف بي هـاتفٌ: يـا فاطمة، سمّيه عليًّا فهو عليّ، والله العليّ الأعلى يقول: إنّي شققت اسمه من اسمي، وأدّبته بأدبي، ووقفته على غـامض علمي، وهو الّذي يكسر الأصنام في بيتي، وهو الّذي يؤذّن فوق ظهر بيتي ويقدّسني ويمجّدني، فطوبى لمن أحبّه وأطاعه، وويل لمن أبغضه وعصاه".[٦٢] تمثّل الرّواية الأخيرة عيّنة أوّليّة تعكس حادثة ولادة عليّ في الموروث الشّيعيّ القديم، الّذي بالغ إلى حدّ ما في إظهار عظمة عليّ من خلالها، وذلك بواسطة التّأكيد على أهمّيّته القصوى، بعد حشد أكثر من معجزة واحدة في ذات المشهد الموصوف في سياق الرّواية، فدعاء فاطمة ببركة الجنين المتحرّك في أحشائها، وانشقاق حائط الكعبة وولوجها فيه، ثمّ انسداده ثلاثة أيّام عليها، حتّى حلول اليوم الرّابع الّذي خرجت فيه ومعها طفلها الوليد

---

[٦٢] الصّدوق، **معاني الأخبار**، ٦٢-٦٣. يقارن مع ما يرد لدى: Eliash, *Alī*, 176-177.

عليّ، وذكرها ما لاقته في جوف الكعبة من عناية مكثّفة وراحة بالغة وغذاء طيّب من ثمار الجنّة، ثمّ تسميتها للطّفل عليًّا امتثالًا لأمر سماويّ عاجل، ثمّ ثناء الذّات الإلهيّة على عليّ بما يضمن له مجدًا رفيعًا وسؤددًا منيعًا، هذه المعطيات الّتي يحشدها نصّ الرّواية الواحدة بهدف صبغ الولادة بمسوح مقدّسة وإحاطتها بهالة من الأنوار المجتمعة، والّتي لا يساور معها شكّ في عدم صحّتها، ويمكن القطع بكونها موضوعة بإيعاز شيعيّ أو من وحي القصّاص الّذين ساهموا بنشاطهم الأدبيّ في ترويج العديد من الأخبار المكذوبة الّتي تخدم مصالحهم المهنيّة من خلال اعتمادها عنصري المبالغة والتّشويق.[٦٣] المعطيات المذكورة لا تعدو كونها محاولة قديمة تصبو إلى تقعيد أركان الفكر الإماميّ وعقيدته في شخصيّة عليّ، والّتي حوّلت صورته التّاريخيّة إلى أخرى ذات سمات شبه أسطوريّة منذ فترة مبكّرة، قد تتزامن مع فترة إبعاده عن مراكز السّلطة الشّرعيّة (بعد أحداث السّقيفة).[٦٤]

تسلّم بعض مصادر الشّيعة القديمة بولادة عليّ في جوف الكعبة دون الخوض في تفاصيلها،[٦٥] ويخوض بعضها الآخر فيها على نحو ما ذكرته الرّواية المذكورة آنفًا،[٦٦] بيد أنّ

---

[٦٣] يمكن التّعرّف على القصّ الإسلاميّ في مهده، وموقف العلماء من ظاهرة القصّ، من خلال ما يرد عند: جلال الدّين عبد الرّحمن بن أبي بكر السّيوطيّ، **تحذير الخواصّ من أكاذيب القصّاص** (القاهرة: مطبعة المعاهد، ١٩٣٢)، ٤٨-٨٢. يقارن مع ما يرد لدى: K. ʿAthamina, "Al-Qaṣaṣ: its Emergence, Religious Origin and its Socio-Political Impact on early Muslim Society", *Studia Islamica* 76 (1992), 70-72.

[٦٤] E. Kohlberg, "Some Imāmī Shīʿī Views on the Saḥāba", *Belief and Law in Imāmī Shi'ism*, (1991), 145.

[٦٥] من هذه المصادر ما ذكره كلّ من: عليّ بن الحسين المسعوديّ (المؤرّخ المتشيّع)، **مروج الذّهب ومعادن الجوهر** (بيروت: دار الفكر، ١٩٩٧)، ٢: ٣٤٧؛ الشّيخ المفيد، **الإرشاد**، ٥؛ الطّوسيّ، **التّهذيب**، ٦: ١٩؛ الكراجكيّ، **كنز الفوائد**، ١: ٢٥٥.

[٦٦] يراجع لدى: الصّدوق، **علل الشّرائع**، ١٣٥-١٣٦؛ ابن المغازليّ، **المناقب**، ٧، وفيه يذكر رواية -على قصرها واختلافها- تزيد في قيمة ولادة عليّ في جوف الكعبة وزنجها، والرّواية مرفوعة إلى عليّ بن الحسين أنّه قال: إنّ أبا طالب كان كثيباً لشدّة مخاض زوجته يوم ولدت عليًّا، فجاءه النّبيّ فقال له: "ما شأنك يا عمّ؟ فقال: إنّ فاطمة بنت أسد تشتكي المخاض، فأخذ بيده وجاء وهي معه فجاء بها إلى الكعبة فأجلسها في الكعبة، ثمّ قال: اجلسي على اسم الله! قال: فطلقت طلقة فولدت غلامًا مسرورًا نظيفًا منظّفًا لم أر كحسن وجهه، فسمّاه أبو

المصـادر السّنّيّة والتّاريخيّة لم تبد اهتمامًـا خاصًّا بمكان ولادة عليّ، بل إنّها - بشكل عامّ - لم تقبل رواية ولادته في جوف الكعبة،[٦٧] ويبدو هذا الطّـرح واضحًا من خلال تغافل تلك المصادر عن التّلميح إلى ولادة عليّ في الكعبة من جهة، وتصريح بعضها الآخر بأنّه قد ولد في أمكنة سواها.[٦٨]

اختلفت الرّوايات والمصادر كذلك في تحديد سنة ولادة عليّ، إذ ذكرت المصادر الشّيعيّة القديمة أنّ ولادته قد وقعت في يوم الجمعة الثّالث عشر من رجب سنة ثلاثين من عام الفيل،[٦٩] لكنّ مصادر الشّيعة في مجملها لم تتّفق بشكل نهائيّ ودقيق في تعيين موعد ميلاد عليّ رغم إجماعها إزاء المكان.[٧٠] أمّا المصادر التّاريخيّة عامّة فإنّها لم تحزم موقفها إزاء تحديد زمن الولادة، وذلك نابع من تعدّد الرّوايات المختلف فيها حول تحديد سنّه عند وفاته بعد مقتله.[٧١]

كان عليّ أصغر أبناء أبيه الذّكور ورابعهم، فأسنّ أخوته يدعى طالبًا، ثمّ يصغره عَقيل، ثمّ جعفر، فعليّ، وبين كلّ منهم عشر سنين.[٧٢] ليس مدهشًا البتّة، ذلك الإحجـام الجليّ من

طالب عليًّا، وحمله النّبيّ صلّى الله عليه وآله حتّى أدّاه إلى منزلها"، وهذه الرّواية تشير إلى دور النّبيّ ومساهمته في ولادة عليّ، وتضيف إلى خصائص ولادته أنّه ولد نظيفًا على غير عادة البشر.

٦٧ خلا ما ذكره ابن المغازليّ في **المناقب** (المذكور في الرّواية السّابقة)، وثمّة رأي في ميول ابن المغازليّ الّذي كان شافعيّ الفروع أشعريّ الأصول، ويكشف ميولًا تشيّعيّة واضحة من خلال كتابه **المناقب**. يبدو أنّ استقراره في العراق- واسط ثمّ بغداد- في فترة معروفة بتزايد الميول الشّيعيّة وظهور الشّيعة وخاصّة في العراق، قد دفعه إلى تشيّعه في كتابه ومادّته في عليّ.

٦٨ يذكر بعضهم أنّه ولد في شِعْب بني هاشم في مكّة. ينظر: محمّد بن عبد ربّه الأندلسيّ، **العقد الفريد** (بيروت: دار الفكر، د.ت.)، ٥: ٥٨.

٦٩ الكُلَيني، **الأصول من الكافي**، ١: ٤٥٢؛ الشّيخ المفيد، **الإرشاد**، ٥؛ الطّوسيّ، **التّهذيب**، ٦: ١٩.

٧٠ يُنظر لدى: الكراجكيّ، **كنز الفوائد**، ١: ٢٥٥.

٧١ ينظر على سبيل المثال لدى: محمّد بن سلامة القضاعيّ، **الإنباء بأنباء الأنبياء وتواريخ الخلفاء وولايات الأمراء** (بيروت: المكتبة العصريّة، ١٩٩٩)، ١٩١.

٧٢ مصعب بن عبد الله الزّبيريّ، **نسب قريش** (القاهرة: دار المعارف، ١٩٩٩)، ٣٩؛ عبد الله بن مسلم بن قتيبة، **المعارف** (القاهرة: الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، ١٩٩٢)، ٢٠٣؛ محمّد بن محمّد بن إسحاق الحاكم الكبير، **الأسامي والكنى** (المدينة المنوّرة: مكتبة الغرباء الأثريّة، ١٩٩٤)، ٢٧١؛ يوسف بن عبد الله بن عبد البرّ

طرف مصادر الشّيعة لترتيب أخوة عليّ، فإنّ امتناعها تبيين ذلك وتدوينه بوضوح، كما هو الحال في المصادر الأخرى، يعكس مدى اهتمامهم بعليّ وحده دون أخوته، متجاهلين بذلك أيّ دور لهم في ترجمته. سمة هامّة تميّزت بها ولادة عليّ، أنّها كانت نتاج لقاحٍ هاشميٍّ محضٍ، وليس ثمّة شكوك في الدّور الّذي يلعبه النّسب الشّريف في بلورة شخصيّة عليّ ومكانتها في التّراث الإسلاميّ بشكله العامّ، وتكمن أهمّيّة هذه السّمة في أمرين اثنين هما:

١. إجماع المصادر كلّها - رغم اختلافها في تفاصيل فرعيّة وأصوليّة أخرى - حول حقيقة السّابقة الوراثيّة الّتي تحقّقت بإنجاب عليّ وأخوته من قبله، من أب وأمّ هاشميّي النّسب،[٧٣] فأبو طالب الهاشميّ- الأب - ابن عمّ فاطمة بنت أسد الهاشميّة – الأمّ -،[٧٤] وبذلك يكون عليّ محضًا كما يصنّفه علم الأنساب عند العرب،[٧٥] غير أنّ هذا الإجماع لا يعني بالضّرورة توافق وجهات النّظر بين كلا الطّرفين في هذا المعطى التّاريخيّ.

القرطبيّ، **الاستيعاب في معرفة الأصحاب** (بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٩٩٥)، ٣: ١٩٧. يقارن مع: Figlali, "ʿAlī in the Sunni Historical and Theological Tradition", 149.

٧٣ المصادر القديمة الّتي وثّقت ذلك كثيرة، ومنها ما أورده مؤلّفون شيعة أمثال: الشّيخ المفيد، **الإرشاد**، ١: ٦؛ الطّوسيّ، **التّهذيب**، ٦: ١٩٩. أمّا ما ذكرته المصادر غير الشّيعيّة فهو أكبر من أن يجمع كلّه، ومنه ما ذكره: ابن قتيبة، **المعارف**، ٢٠٣؛ سليمان بن أحمد الطّبرانيّ، **المعجم الكبير** (القاهرة: مكتبة ابن تيميّة، ١٩٧٦)، ١: ٩٢؛ أحمد بن عبد الله أبو نعيم الأصبهانيّ، **معرفة الصّحابة** (المدينة المنوّرة: مكتبة الدّار، ١٩٨٨)، ١: ٢٧٨؛ القضاعيّ، **الإنباء**، ١٩٠؛ ابن عبد البرّ، **الاستيعاب**، ٣: ١٩٧.

٧٤ اعترض البُستيّ على الافتراض بأنّهما أبناء عمومة لازمة العصب، فقد ذكر في ترجمته لعليّ وخلافته: "أبو الحسن الهاشميّ، وأمّه فاطمة بنت أسد بن هشام بن عبد مناف، وهاشم أخو هشام، ومن زعم أنّه أسد بن هاشم بن عبد مناف فقد وهم"، وبذلك تكون فاطمة وأبو طالب أبناء عمومة من الدّرجة الثّانية للعصب وليسا من الدّرجة الأولى للعصب، كما اتّفقت على ذلك المصادر الأخرى. تراجع هذه المسألة لدى: محمّد بن أحمد البُستيّ، **السّيرة النّبويّة وأخبار الخلفاء** (بيروت: مؤسّسة الكتب الثّقافيّة، ١٩٨٧)، ٥٢١.

٧٥ الزّبيريّ، **نسب قريش**، ١٧. يقول في ذلك: "المحض يكون من ابن عمّ وابنة عمّ، وعليّ بن أبي طالب محض، يقال: إنّه أوّل مولود ولد بين هاشميّين".

٢. تشدّد المصادر غير الشّيعيّة عامّة، على أنّ أمّ عليّ - فاطمة بنت أسد -[٧٦] هي أوّل هاشميّة وَلدت لهاشميّ، وليس في هذا المعطى المكرّر في غير واحد من المصادر القديمة أيّ تخصيص لعليّ دون أخوته الباقين،[٧٧] لا سيّما أنّ الأمّ هي الّتي تحظى بالدّور المركزيّ في هذه الملحوظة الشّكليّة ذات المغزى. في المقابل يحظى عليّ باهتمام أكبر في هذه المسألة لدى مصادر الشّيعة، الّتي تحرص دومًا على منحه حقّ الأوّليّة فيها، والّتي تركّز على شخصيّة الابن – عليّ - لا على الأمّ - فاطمة بنت أسد -، إذ أشيرَ في غير واحد من المصادر بأنّ عليًّا أوّل هاشميّ ولد في الإسلام لهاشميّين.[٧٨]

مع ذلك، فقد لاحظ بعض المؤرخّين القدماء أنّ عليًّا كان أوّل خليفة من أبوين هاشميّين،[٧٩] بيد أنّ الشّيعة لا يقفون عند هاشميّة عليّ فحسب، بل يتجاوزون ذلك من باب المفاضلة بينه وبعض مناوئيه الّذين أصبحوا بمناوأتهم عليًّا عرضة للمثالب والشّتم من قبل الشّيعة عامّة، ولعلّ المثال الكلاسيكيّ لهذه المفاضلة الشّيعيّة، ينعقد فيما نظمه السّيّد الحميَري (ت. ١٧٣هـ/ ٧٩٨م)،[٨٠] وذلك في بائيّته المذهّبة، حين نظم في عليّ ونسبه الهاشميّ السّاميّ قوله:

---

٧٦ انقرض أسد بن هاشم إلّا من ابنته فاطمة ابنة أسد أمّ عليّ. ينظر: الزّبيريّ، **نسب قريش**، ١٦.

٧٧ إحدى التّفسيرات الممكنة لغفلة مصادر الشّيعة عن حضور أخوة عليّ الأسنّ منه في كثير من المناسبات، تلك الأخبار الّتي تدلّ على إحجامهم عن نصرة الدّعوة الإسلاميّة في بداياتها، بل ودخولهم في صفوف قريش الّتي ناجزت المسلمين وحاولت استئصالهم في المدينة، ممّا أتاح لهم الحصول على ميراث أبيهم أبي طالب في الحين الّذي حرم منه عليّ منه لكونه مسلمًا. يراجع ذلك لدى كلّ من: مالك بن أنس الأصبحيّ، **الموطأ** (بيروت: دار اليرموك، د.ت.)، ٢٣٢؛ ابن قتيبة، **المعارف**، ٢٠٣.

٧٨ الشّيخ المفيد، **الإرشاد**، ١: ٦؛ الطّوسيّ، **التّهذيب**، ٦: ١٩.

٧٩ المسعوديّ، **مروج الذّهب**، ٢: ٣٤٧؛ القضاعيّ، **الإنباء**، ١٩٠.

٨٠ إسماعيل بن محمّد بن يزيد الحميريّ، والسّيّد لقبه. من ألمع شعراء الشّيعة القدماء، كان كيسانيّ المذهب ثمّ تحوّل إلى الإماميّة، وأكثر في نظمه للشّعر، وله أشعار في أهل البيت لم تصل، ويعتبر مع بشّار بن بُرد من الشّعراء المحدَثين، وفي شعره رونقٌ وجزالةٌ ومعنًى، كان متعصّبًا لآل البيت كثيرًا، وأثر مدحهم في شعره وذمّ أعدائهم ظاهر، كان ورعًا ومقرّبًا من بعض الخلفاء العبّاسيّين ووزرائهم، عاش متردّدًا بين البصرة والكوفة، ومات في بغداد وقيل بواسط. للوقوف على ترجمته وتشيّعه وشعره في عليّ ينظر لدى: محمّد بن عمران المرزبانيّ، **أخبار شعراء الشّيعة- أخبار السّيّد الحميريّ** (بيروت: شركة الكتبي، ١٩٩٣)، ١٥١-١٧٩.

رجـــلٌ كلا طـرفيه من سامٍ وما حـــام له بأبٍ ولا بأبي أبِ[٨١]

البيت كما شرحه الشّريف المرتضى (ت. ٤٣٦هـ/ ١٠٤٤م)، ينزّه عليًّا عن النّسب الحاميّ ويثبت نسبه السّاميّ المحض من كلا أبويه ومن سائر جدّاته لأمّه حتّى سام بن نوح. تنجلي أهمّيّة هذه الملحوظة عند إشارة المرتضى غير العفويّة إلى قصديّة البيت، إذ أضـاف أنّ السّيّد يعرّض في قوله بعمر بن الخطّاب (ت. ١٣هـ/ ٦٤٤م) لأنّ أمّه حبشيّة من نسل حـام بن نوح، وهي في معاييره منقصة ومذمّة لصيقة بعمر، في حينٍ تبدو فيه ساميّة عليّ فضيلة.[٨٢]

استفاد الشّيعة من هاشميّة عليّ، وحرصوا من خلال تراثهم القديم على استثمارها بما ينسجم والمصالح العقديّة الّتي تخصّهم، كما استثمروها في سجالٍ قديمٍ دار حول فضله ومكانته مع معارضيهم من الفرق الإسلاميّة وعلى رأسهم السّنّة. تعبّر هاشميّة عليّ عن متانة الصّلة الوراثيّة القويّة الّتي تربطه بالنّبيّ، رغم أنّها تحمل دلالات رمزيّة أبعد بعض الشّيء. كان بنو هاشم يتحمّلون أعباء كبيرة جراء عداءات قبليّة شديدة عصفت في أجواء مكّة قبل ظهور الإسلام، وتعود خلفيّة الصّراع الموروث بين بني هاشم وبطون عبد مناف الأخرى إلى مسألة الرّياسة والنّفوذ في مكّة،[٨٣] وقد مرّ هذا الصّراع في مراحل مختلفة سارت في تصاعد مستمرّ حتّى بلغت ذروتها إبّان ظهور الإسلام، فمع بداية الدّعوة في مكّة، أخذ الصّراع مع بني هاشم يأخذ منحًى آخر، لا سيّما أنّ هاشميّة النّبيّ كانت عاملًا مركزيًّا من عوامل التفاف سادة قريش وتكتّلهم ضدّه.[٨٤] الخلفيّة القديمة الّتي استطاع النّبيّ بنجاح دعوته أن يخفّف من حدّتها ويطمس كثيرًا

---

٨١ الشّريف المرتضى، **القصيدة المذهّبة**، ١٣٤.

٨٢ الشّريف المرتضى، **القصيدة المذهّبة**، ١٣٥.

٨٣ لمراجعة بعض أخبار الصّراع في مكّة حول السّيادة والزّعامة ودور بني هاشم فيه، يمكن العودة إلى ما ذكره: عبد الملك بن هشام المعافري، **السّيرة النّبويّة** (بيروت: المكتبة العصريّة، ٢٠٠١)، ١: ١٠٠-١٠١، ١٠٨-١٠٩، ٢٣٣-٢٣٤. يقارن مع موقف وات إزاء هذه المسألة التّاريخيّة: و. مونتجمري وات، **محمّد في مكّة** (القاهرة: الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، ٢٠٠٢)، ٥٧-٥٩، ٩١-٩٢.

٨٤ ينظر لدى: أحمد بن الحسين البيهقيّ، **دلائل النبوّة ومعرفة أحوال صاحب الشّريعة** (بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٩٨٥)، ٢: ٢٠٦-٢٠٧.

من معالمها، واصلت حضورها في التّوجّهات القرشيّة الّتي بدأت منها، غير أنّها وجّهت سهامها إلى عليّ.

وجّه التراث الشيعيّ القديم الصّراعات المزمنة توجيهًا خفيًّا يُفضي إلى قناعات شيعيّة متعلّقة بمنزلة عليّ في الوعيّ الشّيعيّ المبكّر، وفي ضوء هذا، خلُص الشّيعة إلى القول إنّ العصبيّة القرشيّة القديمة قد تجدّدت في آخر حياة النّبيّ للحيلولة دون حصول عليّ - الوريث الطّبيعيّ لها في نظرهم - على حقّه في الخلافة، وبقائها في عصبة بني هاشم بعد وفاة النّبيّ، وثمّة أخبار تحمل دلالاتها تحذيرات النّبيّ لعليّ قُبيل وفاته من مغبّة غدر قريش به بعد وفاته،[٨٥] وتؤسّس تلك التّحذيرات لنظريّة مؤامرة تحاكُ للنّيل من الأئمّة في عصور لاحقة ساد فيها خلفاء غير شرعيّين في الفترتين الأمويّة والعبّاسيّة.

لاق هذا الطّرح الشّيعيّ القديم ترحيبًا في المصادر الشّيعيّة في فترات مبكّرة، كما رحبّت به مصادر أخرى تميل كلّ الميل إلى التّشيّع من خلال تفضيلها عليًّا على غيره،[٨٦] فيما دحضته مصادر أخرى - يصنّفها الشّيعة ضمن التّراث المضادّ - إذ رفضت القَبول به.[٨٧]

من الجدير التّنويه، ولو باقتضاب، إلى التّباين بين المصادر الشّيعيّة وغيرها حول تسمية عليّ باسمه بُعَيد ولادته مباشرةً، فالمصادر التّاريخيّة تميل إلى القول إنّ أباه قد اختار له اسمه رغم رغبة أمّه تسميته بحيدرة،[٨٨] وتشير مصادر أخرى إلى أنّ حيدرة كان لقبًا لقّبته به أمّه

---

[٨٥] يُنظر لدى: سُليم بن قيس، **كتاب سُليم**، ١٣٤؛ الصّدوق، **الخصال**، ٣٨٦.

[٨٦] يراجع ما ورد لدى: محمّد بن عبد الله الإسكافيّ المعتزليّ، **المعيار والموازنة في فضائل الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب** (بيروت: د.ن.، ١٩٨١)، ١٧، ٩٥.

[٨٧] عمرو بن بحر الجاحظ، **العثمانيّة** (مصر: دار الكتاب العربيّ، ١٩٥٥)، ١٠٣.

[٨٨] عليّ بن الحسين الأصفهانيّ، **مقاتل الطّالبيّين** (بيروت: دار المعرفة، ١٩٩٠)، ٢٤، وهو يقول: "كانت فاطمة بنت أسد أمّه- رحمة الله عليها- لمّا ولدته سمّته حيدرة، فغيّر أبو طالب اسمه وسمّاه عليًّا". قد يكون اختيار الأمّ حيدرة لأنّه من أسماء الأسد وهو أسم أبيها. للسّيّد الحميريّ (ت. ١٧٣هـ/ ٧٨٩م) في مدح عليّ قصيدة ذكر فيها تسمية أمّه له حيدرة، ومنها قوله:

ويا من اسمه في الكتب ... معروف به حيدر

وسمّته به أمّ ... له صادقة المخبر

يراجع: الحميريّ، **الدّيوان**، ٢٥٢.

وهو صغير،[٨٩] وقد ذُكر في سياق سابق أنّ الشّيعة الإماميّة يعتقدون وجود عليّ قبل البشر بآلاف السّنين، لذلك فإنّهم يشيرون إلى وجود اسم عليّ في الماضي القديم، حين نُقشت أسماء الأئمّة وفي مقدّمتهم عليّ على ساق العرش،[٩٠] وفي أمكنة مقدّسة غيبيّة أخرى،[٩١] وذلك بعد اختيار الله اسم عليّ المشتقّ من أحد أسمائه الحسنى وهو الأعلى.[٩٢] في الواقع، أسهبت بعض الرّوايات الشّيعيّة في سبب تسمية العناية الإلهيّة عليًّا، وتراشقت بذلك طوائف عديدة دلالات مختلفة لاسم عليّ واشتقاقاته الّتي رفعته جميعها فوق البشر فاختصّته بصفات فوقيّة،[٩٣] خلافًا لهذا تعتقد فرق شيعيّة أخرى - أكثر اعتدالًا - كالزيديّة، أنّ النّبيّ قد سمّى

---

٨٩ أحمد بن يحيى البلاذريّ، **أنساب الأشراف** (بيروت: دار الفكر، ١٩٩٦)، ٢: ٣٤٥. يبدو أنّ عليًّا قد احتفظ لنفسه بهذا اللّقب حتّى بلوغه ريعان الشّباب، وممّا يؤكّد ذلك قوله شعرًا في غزوة خيبر يذكر فيه حيدرة إذ قال:

أنا الّذي سمّتـــــني أمّي حيـــــدرة كليـــث غـــابٍ فـي العرين قَسْوَرة
أكيلكـــم بالصّاع كيـــــل السَّندرة

ورد البيت في هذه الصّيغة لدى: الأصفهانيّ، **المقاتل**، ٢٥. ترد المقطوعة المذكورة في ديوان عليّ المطبوع بصيغة مختلفة بعض الشّيء. ينظر: عبد العزيز كرم (جمع وترتيب). **ديوان الإمام عليّ بن أبي طالب** (د.م.: المكتبة الشّعبيّة، د.ت.)، ٥٣.

٩٠ يُنظر لدى: الصّدوق، **عيون أخبار الرّضا**، ٢: ٢٣٨.

٩١ يُنظر لدى: الصّدوق، **الخصال**، ١٨٨-١٨٩. تشير فيه الرّواية بسند عليّ بن أبي طالب عن النّبيّ أنّه قال لعليّ عند وصيّته له: "يا عليّ، إنّي رأيت اسمك مقرونًا باسمي في أربعة مواطن، فآنست بالنّظر إليه: إنّي لمّا بلغت بيت المقدس في معراجي إلى السّماء وجدت على صخرتها مكتوبًا لا إله إلّا الله محمّد رسول الله، أيّدته بوزيره ونصرته بوزيره، فقلت لجبرئيل: من وزيري؟ فقال: عليّ بن أبي طالب، فلمّا جاوزت السّدرة انتهيت إلى عرش ربّ العالمين- جلّ جلاله- فوجدت مكتوبًا على قوائمه: أنا الله لا إله إلّا أنا وحدي، محمّد حبيبي، أيّدته بوزيره ونصرته بوزيره، فلمّا رفعت رأسي وجدت على بطنان العرش مكتوبًا أنا الله لا إله إلّا أنا وحدي، محمّد عبدي ورسولي، أيّدته بوزيره ونصرته بوزيره".

٩٢ يُنظر: الصّدوق، **معاني الأخبار**، ٥٥.

٩٣ يقول الشّيخ الصّدوق (ت. ٣٨١هـ/ ٩٩١م): "اختلف النّاس من أهل المعرفة لم سُمّي عليّ عليًّا، فقالت طائفة: لم يسمّ أحد من ولد آدم قبله بهذا الاسم في العرب ولا في العجم، إلّا أن يكون الرّجل من العرب يقول: ابني هذا عليٌّ يريد من العلوّ، لا أنّه اسمه، وإنّما تسمّى النّاس به بعده وفي وقته، وقالت طائفة: سُمّي عليّ عليًّا لأنّ داره في الجنان تعلو حتّى تحاذي منازل الأنبياء وليس نبيّ تعلو منزلته منزلة عليّ، وقالت طائفة: سمّي عليّ عليًّا لأنّه علا ظهر رسول الله صلّى الله عليه وآله بقدميه، طاعة لله عزّ وجلّ، ولم يعل أحدٌ على ظهر نبيّ غيره عند حطّ

عليًّا باسمه عند ولادته.[٩٤] تلك رؤية أوّليّة في توظيف الشّيعة اسم عليّ وخلفيّة اختياره رفعًا لقيمة شخصيّته بما يبعدها عن شقّها التّاريخيّ ويجمعها بشقّها الشّيعيّ.

في الختام، يمكن القول بإيجازٍ، إنّه تتجلّى للقارئ في ترجمة عليّ روايتان متباينتان في كثير من التّفاصيل والمعتقدات حول مشهد ميلاد عليّ وما يرتبط بها من إرهاصاتٍ تُباعد بين شخصيّتيه الحاضرتين في كتب ومصادر فريقين تخاصما فيه وتنازعا وهما يقرّان له بمكانةٍ فريدةٍ وتعظيمٍ قلّ نظيره. تعتبر ولادة عليّ في ضوء التّراث الشّيعيّ المبكّر، بما تحمله من دلالاتٍ وتفصيلاتٍ شيعيّةٍ متفاوتةٍ عن الرّواية التّاريخيّة والسّنّيّة، بونًا تتّسعُ معه الشُّقّة بين ترجمتين لشخصيّة واحدةٍ أرّقتها الأهواء والميول والخلافات بين فريقين يُجمعون على عظم مكانتها كلٌّ بطريقته وعقيدته.

المصادر والمراجع

ابن إسحاق، محمّد. **السّيرة النّبويّة**. القاهرة: دار أخبار اليوم، ١٩٩٨.

الإسكافيّ المعتزليّ، محمّد بن عبد الله. **المعيار والموازنة في فضائل الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب**. بيروت: د.ن.، ١٩٨١.

الأصبهانيّ، أحمد بن عبد الله أبو نعيم. **معرفة الصّحابة**. المدينة المنوّرة: مكتبة الدّار، ١٩٨٨.

الأصفهانيّ، عليّ بن الحسين. **مقاتل الطّالبيّين**. بيروت: دار المعرفة، ١٩٩٠.

ابن بابويه القمّيّ، عليّ بن الحسين. **الإمامة والتّبصرة من الحيرة**. بيروت: مؤسّسة آل البيت لإحياء التّراث، ١٩٨٤.

الأصنام من سطح الكعبة، وقالت طائفة: إنّما سمّي عليّ عليًّا لأنّه زُوّج في أعلى السّماوات ولم يُزوَّج أحدٌ من خلق الله عزّ وجلّ في ذلك الموضع غيره، وقالت طائفة: إنّما سُمّي عليّ عليًّا لأنّه كان أعلى النّاس علمًا بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله". يراجع النّصّ الأخير كاملًا لدى: الصّدوق، **معاني الأخبار**، ٦١-٦٢؛ **علل الشّرائع**، ١٣٦-١٣٧.

[٩٤] شرف الإسلام بن سعيد المحسن بن كرامة، **تنبيه الغافلين عن فضائل الطّالبيّين** (بيروت: مركز الغدير للدّراسات الإسلاميّة، ٢٠٠٠)، ١٣٢.

بار-أشير، مئير. "بنو إسرائيل كأنماط أوّليّة للشّيعة". **الكرمل: أبحاث في اللّغة والأدب** ١٨-١٩ (١٩٩٧-١٩٩٨): ٤٩-٦١.

البَزدَوي، محمّد بن محمّد. **أصول الدّين**. القاهرة: دار إحياء الكتب العربيّة، ١٩٦٣.

البلاذريّ، أحمد بن يحيى. **أنساب الأشراف**. بيروت: دار الفكر، ١٩٩٦.

البيهقيّ، أحمد بن الحسين. **دلائل النبوّة ومعرفة أحوال صاحب الشّريعة**. بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٩٨٥.

التّرمذيّ، محمّد بن عيسى. **الجامع الكبير**. بيروت: دار الغرب الإسلاميّ، ١٩٩٨.

الجاحظ، عمرو بن بحر. **العثمانيّة**. مصر: دار الكتاب العربيّ، ١٩٥٥.

الحاكم الكبير، محمّد بن محمّد بن إسحاق. **الأسامي والكُنى**. المدينة المنوّرة: مكتبة الغرباء الأثريّة، ١٩٩٤.

الحميريّ، إسماعيل بن محمّد. **ديوان السّيّد الحميريّ**. بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٦٦.

ابن حنبل، أحمد. **فضائل الصّحابة**. جدّة: دار العلم، ١٩٨٣.

ابن سعد، محمّد. **الطّبقات الكبرى**. بيروت: دار الفكر، ١٩٩٤.

السّيوطيّ، جلال الدّين عبد الرّحمن بن أبي بكر. **تحذير الخواصّ من أكاذيب القصّاص**. القاهرة: مطبعة المعاهد، ١٩٣٢.

ابن شاذان، محمّد القمّيّ. **فضائل أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب**. بيروت: دار البلاغة، ١٩٨٧.

الخزاعيّ، عبد الرّحمن بن أحمد. **كتاب الأربعين عن الأربعين في فضائل عليّ أمير المؤمنين**. طهران: مؤسّسة الطّباعة والنّشر، ١٩٩٦.

الزّبيريّ، مصعب بن عبد الله. **نسب قريش**. القاهرة: دار المعارف، ١٩٩٩.

سُليم بن قيس الهلاليّ. **كتاب سُليم بن قيس الهلاليّ**. إيران: مطبعة الهادي، ١٩٩٩.

الصّدوق الشّيخ، محمّد بن بابويه القمّيّ. **معاني الأخبار**. طهران: مكتبة الصّدوق، ١٩٥٩.

المؤلف نفسه. **علل الشّرائع**. النّجف: المطبعة الحيدريّة، ١٩٦٣.

المؤلف نفسه. **الخصال**. النّجف: المطبعة الحيدريّة، ١٩٧١.

المؤلف نفسه. **عيون أخبار الرّضا**. بيروت: مؤسّسة الأعلميّ للمطبوعات، ١٩٨٤.

المؤلف نفسه. **كمال الدّين وتمام النّعمة**. بيروت: مؤسّسة الأعلميّ للمطبوعات،١٩٩١.

المؤلف نفسه. **الاعتقادات**. بيروت: دار المفيد، ١٩٩٣.

الصّفّار، محمّد بن الحسن. **فضائل أهل البيت**، المسمّى: **بصائر الدّرجات**. بيروت: مؤسّسة النّعمان، ١٩٩٢.

الطّبرانيّ، سليمان بن أحمد. **المعجم الكبير**. القاهرة: مكتبة ابن تيميّة، ١٩٧٦.

الطّوسيّ، محمّد بن الحسن. **تهذيب الأحكام**. النّجف: مطبعة النّعمان، ١٩٥٩.

المؤلف نفسه. **الفهرست**. بيروت: مؤسّسة الوفاء، ١٩٨٣.

ابن عبد البرّ القرطبيّ، يوسف بن عبد الله. **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**. بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٩٩٥.

ابن عبد ربّه، محمّد الأندلسيّ. **العقد الفريد**. بيروت: دار الفكر، د.ت.

فرات الكوفيّ، ابن إبراهيم. **تفسير فرات الكوفيّ**. بيروت: مؤسّسة النّعمان، ١٩٩٢.

القاضي النّعمان، أبو حنيفة بن محمّد. **شرح الأخبار في فضائل الأئمّة الأطهار**. بيروت: دار الثّقلين، ١٩٩٤.

ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم. **المعارف**. القاهرة: الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، ١٩٩٢.

القضاعيّ، محمّد بن سلامة. **الإنباء بأنباء الأنبياء وتواريخ الخلفاء وولايات الأمراء**. بيروت: المكتبة العصريّة، ١٩٩٩.

القمّيّ، عليّ بن إبراهيم. **تفسير القمّيّ**. بيروت: مؤسّسة الأعلميّ، ١٩٩١.

الكراجكيّ، محمّد بن عليّ. **كنز الفوائد**. بيروت: دار الأضواء، ١٩٨٥.

ابن كرامة، شرف الإسلام بن سعيد المحسن. **تنبيه الغافلين عن فضائل الطّالبيّين**. بيروت: مركز الغدير للدّراسات الإسلاميّة، ٢٠٠٠.

كرم، عبد العزيز. (جمع وترتيب). **ديوان الإمام عليّ بن أبي طالب**. د.م.: المكتبة الشّعبيّة، د.ت.

الكُلَيْني، محمّد بن يعقوب. **الأصول من الكافي**. طهران: دار الكتب الإسلاميّة، ١٩٦٨.

مالك الأصبحيّ، ابن أنس. **الموطأ**. بيروت: دار اليرموك، د.ت.

المرتضى، عليّ بن الحسين الشّريف. **القصيدة المذهّبة في مدح أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب**. بيروت: دار الكتاب الجديد، ١٩٧٠.

المؤلف نفسه. **رسائل الشّريف المرتضى**. بيروت: مؤسّسة النّور للمطبوعات، ١٩٨٩.

المرزبانيّ، محمّد بن عمران. **أخبار شعراء الشّيعة - أخبار السّيّد الحميريّ**. بيروت: شركة الكتبي، ١٩٩٣.

المسعوديّ، عليّ بن الحسين. **مروج الذّهب ومعادن الجوهر**. بيروت: دار الفكر، ١٩٩٧.

ابن المغازليّ، عليّ بن محمّد الشّافعيّ. **مناقب الإمام عليّ بن أبي طالب**. بيروت: دار الأضواء، ١٩٨٣.

الشّيخ المفيد، محمّد بن محمّد بن النّعمان. **أوائل المقالات**. بيروت: دار المفيد، ١٩٩٣.

المؤلف نفسه. **مسار الشّيعة**. بيروت: دار المفيد، ١٩٩٣.

المؤلف نفسه. **تصحيح اعتقادات الإماميّة**. بيروت: دار المفيد، ١٩٩٣.

المؤلف نفسه. **الإرشاد**. بيروت: مؤسّسة آل البيت لإحياء التّراث، ١٩٩٥.

المقدسيّ، مطهّر بن طاهر. **البدء والتّاريخ**. بغداد: مكتبة المثنّى، ١٩٦٠.

النّجاشيّ، أحمد بن عليّ. **رجال النّجاشي**. بيروت: دار الأضواء، ١٩٨٨.

ابن هشام، عبد الملك المعافري. **السّيرة النّبويّة**. بيروت: المكتبة العصريّة، ٢٠٠١.

وات، و. مونتجمري. **محمّد في مكّة**. القاهرة: الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، ٢٠٠٢.

ʿAthamina, Khalil. "Al-Qaṣaṣ: Its Emergence, Religious Origin and Its Socio-Political Impact on Early Muslim Society". *Studia Islamica* 76 (1992): 70-72.

Eliash, J. *Alī b. Abī Tālib in Ithnā Asharī Belief*. London: University of London, 1966.

Fiğlali, E. Ruhī. "ʿAlī in the Sunni Historical and Theological Tradition". In: Ahmet Yasar Ocak (ed.). *From History to Theology: Ali in Islamic Beliefs*. Ankara, Turkey: Turk Tarih Kurumu, 2005: 149-184.

Kohlberg, E. "Some Shīʿī Views of the Antediluvian World". *Studia Islamica* 52 (1980): 41-66.

Idem. "Some Imāmī Shīʿī Views on the Ṣaḥāba". *Belief and Law in Imāmī Shiʿism* (1991): 143-175.

Idem. "From Imāmiyya to Ithnā - ʿAshariyya". *Belief and Law in Imāmī Shīʿism* (1991): 521-534.

Laoust, H. "Le Rőle de ʿAlī dans la Sira Chiite". *Revue Des Etudes Islamiques* XXX (1963): 7-26.

Moezzi, M. *The Divine Guide in Early Shīʿism*. New York: State University of New York Press, 1994.

Idem. "Aspects De L`Imāmologie Duodécimaine I: Remarques Sur La Divinité L`Imām". *Studia Iranica* 25 (1996): 193-216.

Idem. "Only the Man of God is Human: Theology and Mystical Anthropology According to Early Imāmī Exegesis (Aspects of Twelver Imamology IV)". *Shīʿism* (2003): 17-39.

Poonawala, F. "Tawīl". *The Encyclopaedia of Islam*. New Edition X: 391-392.

Rubin, U. "Pre-Existence and Light - Aspects of the Concept of Nūr Muḥammad". *Israel Oriental Studies* 5 (1975): 62-119.

Sachedina, Abdulaziz. "The Wali of God and the Wasi of the Prophet: ʿAlī B. Abī Ṭālib in Twelver Shiʿite Belief". In: Ahmet Yasar Ocak (ed.). *From History to Theology: Ali in Islamic Beliefs*. Ankara, Turkey: Turk Tarih Kurumu, 2005: 4-11.

Sarasin, W. *Das Bild Alis bei den Historikern der Sunna*. Basel: Buchdruckerei M. Werner-Riehm, 1907.

בר-אשר, מאיר. **סוגיות בפרשנות הקוראן השיעית האמאמית הקדומה**. עבודת דוקטור. ירושלים: האוניברסיטה העברית, תשנ"א.

קולברג, איתן. "השיעה: סיעתו של עלי". **מחאה ומהפכה באסלאם השיעי**. תל-אביב: הקיבוץ המאוחד, תשמ"ו, 11-30.